

المكتبة الثقافية

نظرات نقدية

في القصة القصيرة والرواية

إبراهيم سَعَفَان



المكتبة الثقافية
(٢٩٩)

نظرات نقدية في القصة القصيرة والرواية

إبراهيم سَعَفَان



١٩٨٥

—

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

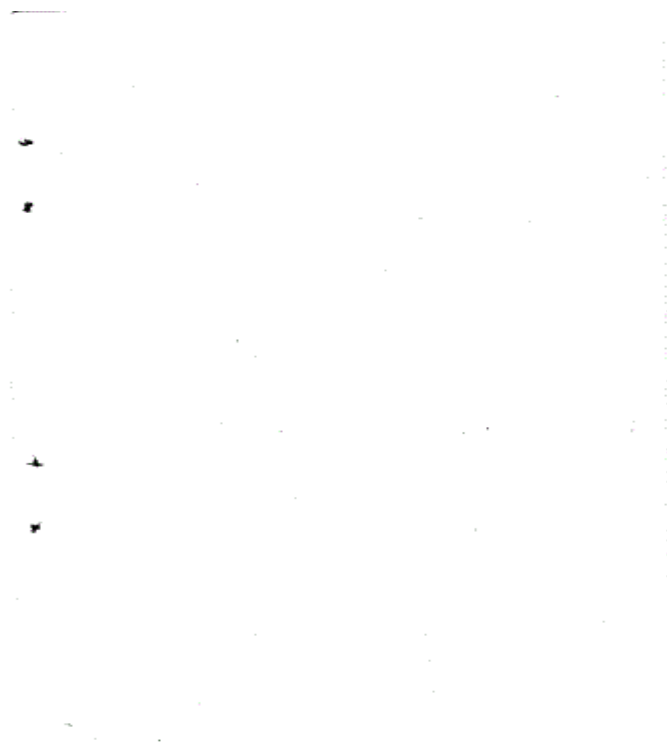
41

42

اهـءاء

الى اءى العزىز

الءءنور عبء العزىز الءسوقى



الإيجابية في شخصيات

محمود البدوي ..

عالم محمود البدوي القصصي رحب ونرى يحتاج إلى العديد من الدراسات النقدية لاستكشاف جوانب عالم هذا الرائد الفنان الذي أصل فن القصة في مطلع الثلاثينات ومازال عطائه مستمرا بقوة وحيوية وأستاذية .. محمود البدوي يتميز بحسه الفني الرقيق وذوقه المثقف ورهافة اللفظ .. وبراعة تصوير المواقف التي تكشف عن أبعاد الشخصيات التي يرسمها بدقة ويبرز أبعادها الاجتماعية والنفسية والخلفية .. ويكشف عما تعانیه من صراع مع نفسها .. أو مع الآخرين .. ولأن هذه الشخصيات سوية وواعية لها ضمير حي يفظل تخرج من أزماتها منتصرة على نفسها في لحظات الضعف وهذا أقوى الانتصارات على النفس أو على الآخرين .. واللفت للنظر حقا في سلوك هذه الشخصيات أنه سلوك طبيعي لا افتعال فيه تتعرض للحظات تكون فيها قوية ولحظات تكون فيها ضعيفة ولكن نرى البدوي في لحظات

الضعف التي تتعرض لها شخصياته سواء بسبب اجتماعي أو بسبب الجنس الذي يتناوله الكاتب بشكل طبيعي يدير الصراع الداخلي بين الخير والشر حتى يكون الانتصارا معنى وعبرة للآخرين .. ويبرز أيضا أن هذا الانتصار لم يحنى عفوا ولكن نتيجة حتمية لتسلح هذه الشخصيات بالأخلاق والثقافة ولتؤكد أيضا أن الخير هو الأساس في الإنسان وبهذا الخير تستمر الحياة .. وتتأكد العلاقات بين الناس .

والبدوي لا يفرض نفسه على شخصياته ولكنها تفصح بنفسها عن أفكارها بشكل طبيعي من خلال الحوار المناسب لعقلها ومن خلال الموقف التي تتحرك فيها بطبيعية ، كما أن الكاتب يقدم شخصياته من تجارب عاشها بنفسه أو تجارب سمعها عن الآخرين يتمثلها الكاتب تماما ثم يخرجها بعد ذلك عملا فنيا والمعروف أنه « لا يوجد عمل فني إلا وله ماضي في نفس صاحبه ، هذا الماضي هو تجربة قديمة مرت بهذا الشخص فتركت آثارا في نفسه ، هذه الآثار قد تختفى من السطح ولكن هذا لا يعني أنها ماتت » .

وشخصيات البدوي ليست كلها خيرة وإيجابية ولكن يوجد شخصيات سلبية شريرة فاسدة تضر نفسها ، وتضر المجتمع ولكن قدرة البدوي الفنية تنجلي واضحة في تقديمه لهذه الشخصيات فهو يبين الظروف التي دفعت

بهذه الشخصيات الى التدمير .. تدمير نفسها ..
وتدمير المجتمع .. ويؤكد البدوي من خلال هذه النماذج
التي يكتب عنها ان الانسان عندما يفقد ارادته يفقد كل
شيء وينحدر الى الهاوية لانه لا يملك القدرة على التحكم
في سلوكه .. في تفكيره نتيجة عدم الخبرة او افتقار
الثقافة .

ويتمثل هذا في قصص مثل « الأعمى » - مجموعة
الذئاب الجائعة ، وفي التمثال - مجموعة صقر الليل ،
وفي « صوت البحر » - مجموعة صورة في الجدار ، وفي
شخصية سليم في قصة « السلسلة » مجموعة عذراء
ووحش - ، وفي شخصية دياب الذي تحول الى قاتل بعد
الأخذ بشار أبيه - مجموعة عذراء ووحش .

والأمثلة كثيرة في قصص البدوي ولكن تكفى
بما ذكرناه كأمثلة وستتناول هذا الموضوع في مقال آخر
إن شاء الله .

فالبدوي اذن يبرز عنصر الإرادة وبين أهميته
بالنسبة للإنسان ، لأن الإرادة القوية تحمي صاحبيها
من الانحراف في كثير من المواقف التي يمر بها ، وهذا
سبب تغير بطل قصة « في القطار » مجموعة ذئاب جائعة
من الاشتباه الجنوني للرسالة الجميلة التي تعرف عليها
في بخارست الى انسان طبيعي خمدت فيه نار الشهوة

فتبددت أحلامه الوردية التي أشعلت خياله بالاستمتاع
بجسد هذه المرأة الجميلة .. وبين البدوى سبب هذا
التغير .. والسبب طبيعي ويمكن أن يحدث في أى وقت
وهو المرض .. فيدفعه نيله إلى السهر بجانبها طوال
الليل يرعاها حتى شغيت ولستمع إلى بطلان القصة
لنقف على مدى رغبته الجنونية في الرسامة ، وظلت
ساهرة .. وبعد منتصف الليل نامت .. وأخذت انظر
إلى وجهها وهي تتنفس في هدوء .. وإلى جسمها وقد
لف في الأغشية في الليلة الماضية .. تحت تأثير الخمر
وتعب الأعصاب من السهر الطويل .. وتحت تأثير كل
ما طاف في رأسى من فكر .. ودار من هواجس ..
اشتبهت هذا الجسم وتمنيت أن يكون لى ساعة من
الزمان .. وهو الآن في متناول يدى ... وأراه بجميع
تقاطيعه وكل محاسنه وأضع يدى على صدرها والمس
ذراعها العارية ، وأنا أضم إليها الأغشية وأعطيها بعض
المقويات ومع كل ذلك فشعورى الليلة غير شعورى
بالأمس .. فقد سكنت ثورة العاصفة التي كانت تشتعل
في جسمى في الليلة الماضية .. ولازمنى الليلة احساس
جديد .. فيه روحانية جارفة .. ألاها مريضة ؟
الأنى أدركت سمو نفسها ؟ الآن صلتى قد توقفت واشتدت
عن ذى قبل ؟ لم أكن أدري .

فالبدوى يصور هنا الرغبة المتحكممة في الانسان
وأمنيته في الاستمتاع بجسد المرأة .. ثم نراه يبين في

هدوء وطبيعية سبب تغير الانسان من ذئب يمهّد لاقتناص
فريسته الى انسان نبيل يؤثر فيه موقف المريض ..
ولم يذكر البدوى سببا واحدا ولكن ذكر اكثر من سبب
وهو المرض او سمو نفس الفنانة وحديثها او الصداقة
التي توافقت بينهما فكان لزاما عليه أن يرعى قداسة
الصداقة ولا يخونها .

ح

٤

وهذا السلوك النبيل الذي رأيناه يسلكه ايضا بطل
قصة « سورة في الجدار » وقد عنون الكاتب المجموعة
باسمها . وهي قصة ممتازة ، فالبطل في هذه القصة
ايضا رسامة وتسمى « سهر » تربطها ببطل القصة
صداقة قديمة تدعوه ، لزيارة معرضها في قصر الفنانين
في الفورية ، ويبدأ محمود البدوى في تسج أحداث
القصة خطوة بخطوة يهبط فيها الجو لما سيحدث
بين سهر وصديقها وليكشف رويدا عما يعمل في نفسية
كل منهما من رغبة جنسية عارمة . فالتور ينقطع في الحى
بتبين البدوى أثر الظلام الذى عم المكان في نفسية البطل
« كنت أشعر بفرح غامر .. في هذه الظلمة .. وهذا
السكون وشعرت بأننا وصلنا الى العرش الذى هبأه القدر
لنا دون أن نبذل جهدا » وبين البدوى على لسان البطل
ما يشعر به داخليا تجاه هذه الفرحة التي أتاحت له
« جلسنا متجاورين على الحشوية صامتين .. تسبح
خوابرتنا فيما يشبه الأحلام .. ونسينا أنفسنا .. وكنا

د

٥

نسبح معا في ضوء الشمعة .. نسبح في خواطر جميلة ..
وصوبت الى نظرة حائلة وقرات في عينيها الرغبة ..
فأمسكت بيدها .. وشعرت بالنعومة والعدوية .. ولمست
الحنان .. وهي تشدد على يدي في دلال .. وتتحول
بجسمها وتكاد تضغط على صدري » .

الجو مهيبا .. سواء خارجيا او داخليا عند
الشخصيتين .. وقدرة البدوي الفنية تنجلي في أنه
يرتفع بالحدث الى نقطة الغليان ولهذا قيمته لتعرف قيمة
تصرف البطل بعد ذلك .. وكيف سيطر بقوة ارادته على
هذه الرغبة العارمة لصديقه .. فيتحول الموقف من
الخطيئة الى النبل والانسانية .. وذلك عندما يلوح صورة
معلقة في إطار ذهبي .. فيسألها من صاحب الصورة
ولماذا بلبس نظارة سوداء فتخبره بانها صورة زوجها ،
وانه أعمى وحينئذ أحس « بختنجر بمزق أحشائي .. أن
العين العمياء تنظر الى في سخرية قاتلة .. انطفأت
الجدوة التي اشتعلت في جسمي ، وحل محلها لوح من
الثلج حط على عاتقي وأحسست بالبرودة الشديدة
وبالرعدة » .

تصوير دقيق من فنان قدير يمتلك ادارته الفنية
والثقافية والخبرة الطويلة مع الحياة مكنته من فهم النفس
الانسانية ومعرفة أسرارها .. في هذه القصة أيضا
أوجد البدوي سببا طبيعيا غير مقحم كما فعل في القصة

السابقة .. ففي القصة السابقة المرض والعشرة ، وفي هذه القصة صورة الزوج المعلقة على الحائط والسبب الآخر اصابته بالعمى .. فلم يرض أن يخون الزوج والمصاب بعامة .

وفي قصة أخرى « الطبيب » - مجموعة السقينة الذهبية - نجد نموذجا آخر مثالا للطيبة وفعل الخير من افتناع ، وهو الدكتور شفيق الذي يكشف على مرضاه ومعظمهم من الفقراء مجانا ويعطيهم الدواء أيضا مجانا .. ولا يبخل بوقته من أجل شرح طريقة تعامله مع الدواء ، ولا يجد مشقة في هذا العمل الذي يؤديه بصبر وحسان فترة طويلة على المرضى .

ان الدكتور شفيق متفائل دائما وكان « متبع عظمته من تفاوله الشديد الأمل في النفوس الخاسدة وقوة جلده .. ودرايته التامة بعقل النفس الانسانية » .

يعيش الدكتور وحيدا بعد وفاة زوجته لم ير جاره في العيادة الذي يروي البدوي القصة على لسانه أحدا أبدا معه .. وذات ليلة رأى بجانبه فتاة من مرضاه .. عرف الجار بعد ذلك أن الدكتور شفيق تزوجها . وكان سعيدا بهذا الزواج .. وفجأة توفي بعد شهر من الزواج ولاحظ الجار وهو يقوم بواجب العزاء أن الزوجة تتحرك في حزن وفي شهرها الرابع على الأقل وتعرف من

الجار بعد ذلك ، أن هذا الرجل النبيل يزواجه من هذه الفتاة لم يكن يبغي المتعة وإنما كان يود أن يخفى عارها « بهذا الموقف الجديد الذي يضيفه البدوي للدكتور شفيق يبين سبب عظمة هذا الإنسان ونبله وتضحيته من أجل أسعاد الآخرين .. ويقدم البدوي في قصة أخرى نموذجا آخر من النساء كما قدم من الرجال نموذجا للإنسانية ففي قصة « ليل العاصفة » نجد امرأة تتصرف تصرفا يدل على عنصر الخير المدفون في أعماقها .. فتقابل مع دكتور هارب من امرأة جميلة تطارده وهو الرجل الجاد المحافظ على سمعته ويرفض الخضوع لهذه المرأة ويقرر أن « يستمر على النهج الصارم الذي رسمه لنفسه ولا يسمح لها بأى منفذ من الدائرة التي أحاطها بعمله كطبيب » .. هرب في سيارته في ليلة عاصفة ومعه امرأة الليل التي وجدها في الشارع وسط العاصفة .. نام على الدركسيون من التعب وهي بجانبه تحديق فيه ورات في جيبه حزمة من أوراق البنكنوت .. فكرت أن تأخذها وتتركه فهذه النقود أكثر من كل ما يعطيه لها أى رجل « فكرت في هذا ولكن عندما نظرت إلى وجهه الإنساني لم تستطع فعل هذا .. وظلت بجواره ساهرة حتى استيقظ » .

فإذا كان البدوي في هذه القصص قد جعل الإيجابية بسبب مرض أو المحافظة على صداقة أو موقف

إنساني محافظة على مشاعر إنسان آخر أو الإنسانية الشخصية ، فانه في قصة « القطار الأزرق » - مجموعة صورة في الجدار - يبين سببا آخر أقوى من الأسباب التي ذكرها وهو الحب الأبوي .. الشعور الخفي بالحنان الأبوي الذي يربط بين الأب وأبنائه برباط قوى .

وهذا حب الهى وضعه الله في الإنسان .. ولا يمكن أن يموت أو يضعف بمرور الزمان .. فكما يقال الدم يحن .. هذا الاحساس الخفي يؤثر في سلوك الإنسان دون أن يشعر ويعرف حقيقة هذا السلوك عندما يكشف من بصيرته ، ففي هذه القصة يلتقي بطل القصة الرحالة بفتاة جميلة في القطار المسافر الى ليننجراد .. وبطريقة البدوي الفنية في التمهيد للحدث وقدرته في الكشف عما يجول في خواطر شخصياته يبين لنا مدى الرغبة المشتعلة في البطل للاستمتاع بصديقة القطار أو أى امرأة أخرى يسوقها الحظ اليه كمصدر محترف فلنستمع اليه وهو يفصح عما في نفسه « كنت أتحرق شوقا أن أضرم كل انثى تستجيب لرغبتى .. ولما أصبحت على قيد ذراع واحد منى والباب مفلق والسكون يخيم وكل شيء يهيم النفس لاشتعال العواطف .. الفيت بنفسى باردا ميت الاحساس . ميت العواطف .. لا أحس بأى احساس مما يشعر به الرجل نحو المرأة عندما يخلو بها .. وتدفقت بدلها عواطف جديدة في كياني كله

احسست لأول مرة عواطف من الحنان الخالص
والعطف الشديد » .

فهذا الاحساس الجديد الذى احس به ابراهيم بطل
القصة جعله لا يلمس نادبة صديقة القطار .. ولم يشعر
برغبة فى مغازلتها ولم يفكر قط رغم ما يتصف به من
صفات كمصور فى أن يأخذ لها صورة « أصبحت احترم
هذه السيدة واحبها » .

ويكشف الكاتب بعد ذلك عن كنه هذه العاطفة
الجديدة تجاه نادبة عن طريق قارئة الكف التى تخبره
بما تراه فى كفه « لقاء فى سفينة بين عاشقين .. وارى
بحر مرمرة .. والبسفور .. وهاج البحر .. دوت
القتابل .. وارى فتاة جميلة ثمرة لقاء .. وعاشت
والتقت بالدها بعد سنين وسنين » .

وذهل ابراهيم عند سماعه لما سمعه .. وعاد الى
ذكرياته .. ويسأل نادبة عن والدها فتخبره بأنه توفى ،
ويسألها عن أمها فتخبره بأنها تعيش معها فى فنلندا ،
ويسألها عن اسمها ، فتخبره بأنها تسمى صفية خير الله ،
وهنا يرتعش قلبه عند سماع الاسم واخذ يفكر ويفكر ..
وتخبره نادبة بأن صورتها معها فى الحقيبة .. فيقول لها
انه سيراها فى الصباح ولكن يتركها وهى نائمة ..
وتسمعه يقول « ان القطار الأزرق حملنى عبر السنين الى

بعيد وأنا لا أدري .. لا شيء ينسى .. وكل ما يحدث
في حياة الإنسان فهو لاحق بوجوده » .

ونرى البدوي في قصة أخرى وهي « الظرف
المعلق » يقدم نموذجاً آخر للتبل والشهامة .. والأمانة .
ففي مترو مصر الجديدة ليلاً .. وسط الزحام الشديد ..
تختاره سيدة دون الجالسين بجانبه وتعطيه ما تحمله
حتى حقيبتها .. ويحدث حريق في المترو .. ويفرق
الركاب وتضيع السيدة في الزحام ولا يلتقي بها بطل
القصة .. ويبحث عنها كثيراً فلا يجدها .. وتمضي فترة
طويلة لا يعثر عليها .. وفجأة يقابلها .. ويخبرها
بما فعله من أجل العثور عليها ليوصل الأمانة التي بنوء
بحملها .. فأخبرته بأنه يوجد ظرف معلق في الحقيبة به
العنوان .. فأخبرها بأنه لم يشأ أن يفتح الظرف ..
ويغترق الإنسان كل في طريقة .

وفي قصة « الورقة المطوية » - مجموعة الظرف
المعلق - يتقدم البطل بدافع الخير لانتقاذ سيدة مسافرة
من الاسكندرية الى القاهرة .. فقدت نقودها .. فيقطع
لها التذكرة ويعطيها لها فتشك في نواياه ولكن تصرفاته
بعد ذلك في القطار طمأنتها وعرفت أنه انسان نبيل ..
لا يقصد سوءا .. في القاهرة تطلب منه عنوانه لترد له
نعم التذكرة والتاكسي . يرفض الرجل ولكنها تصر ..
وأمام اصرارها اخرج من جيبه ورقة وقلما وانحنى جانباً

ليكتب العنوان ثم طوى الورقة .. وأعطاهما لها ..
ولما ذهبت الى منزلها فتحت الورقة .. فوجدتها بيضاء
وليس فيها حرف واحد « وأبتسمت . وصورة الرجل
الغريب تتضخم أمامها وتملأ حتى ملأت جوانب البيت
كله » .

ولم يكتف الكاتب بتبيان أثر هذا التصرف النبيل
من الرجل الغريب بابتسامة فقط ولكن عمق هذا الأثر في
نفسية المرأة ليعطى له دلالة أقوى ولقد اكتشفت الفرق
بين هذا الرجل الغريب وبين زوجها فأحست لأول مرة
في حياتها بالكراهية الشديدة له واحتقار من غير حدود ..
كانت تقارن بين صفاته الخلقية ، وصفات الرجل الآخر ..
فقد لمست لأول مرة في حياتها النبيل والشجاعة في
إنسان » .

ومثل هذا الرجل نجده في قصة « الورقة المطوية »
ونراه في قصة « الشجاع » - مجموعة الظرف المفلق -
رجلا يعرض نفسه للموت في الترولى ليحمى سيدة من
نشال هاجم الركاب .. ويدخل في معركة دامية .. تنتهى
بسقوط مجهول قتيلًا . ويحمى الرجل الشجاع عرض
السيدة .. من النشال .

هذا النموذج مثال الأخلاق والشجاعة .. لأنه

بشعور داخلي متكون من عاداته وتقاليده التي تفرض
حماية المرأة والدفاع عن عرضها .

وهذه الإيجابية والانسانية التي تراها في هذه
الشخصيات التي عرضناها تراها في بقية المجموعات
الأخرى كما في قصة « الشيطان » مجموعة عذراء
ووحش - رغم وجود دباب القاتل الشرير الذي يريد أن
يقتل الصراف ليستولى على النقود التي معه نجد بجانب
هذه الشخصية شخصية أخرى خيرة وهي « رمضان »
التهوحي الذي يدرك ما يدور في ذهن « دباب » فيضع له
مخدرا في الشاي .. ويروح دباب في النوم ويفلت الصراف
منه .

وفي قصة « الشيخ تمام - مجموعة عذراء ووحش »
نجد بطله وهو شاب ثري انسان مستقيم تقيم معه سيدة
ارملة تقوم على خدمته .. ويحذره الشيخ تمام من هذا
التصرف المؤدى الى الخطيئة فيقول الشاب « انه مجرد
عطف انساني .. فهذه الفتاة .. مات زوجها في حادث
وهي فقيرة ومسكينة ولو خرجت الى الطريق .. فانت
تعرف مصيرها .. ولهذا جئت بها الى هنا لاصونها من
الذنس » .

فيطمئن الشيخ تمام لمعرفة أخلاق الشاب معرفة

جيدة .. وإذا تحدثنا عن التكتيك الفني في قصص محمود البدوي ، نلاحظ .

١ - أن معظم قصصه يسوقها بضمير المتكلم وهذا يمكن الكاتب من استبطان الشخصية وتحليلها وفي البعض الآخر يستخدم ضمير الغائب ليطلعنا على عوالم شخصياته والجوانب الخفية فيها .

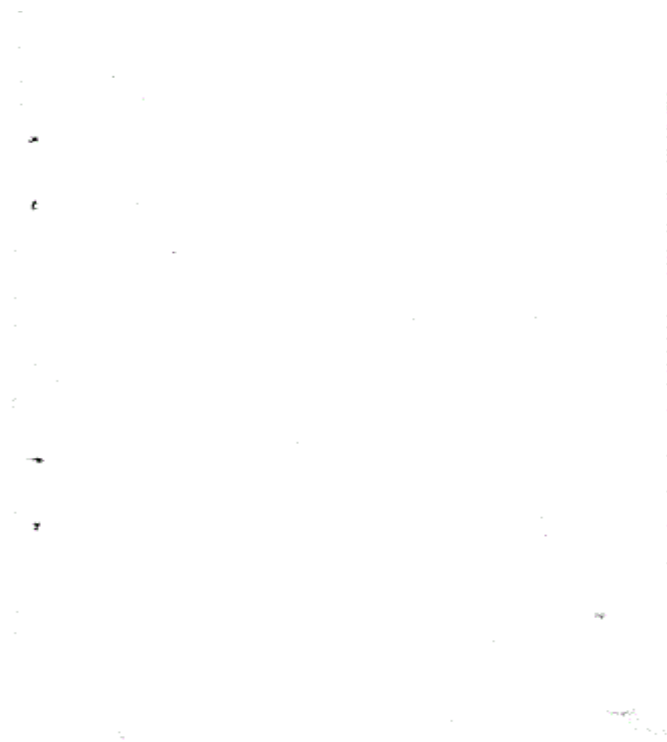
٢ - أن معظم أبطال قصصه بدون أسماء لتكون رمزا ودلالة أرحب وأعمق ويقدمها كأنماط إنسانية تتكرر في المجتمع لا تنتهي .

٣ - أن الكاتب كما بينا يمهّد للحدث ويهيئ الجو له بسلامة وتنسيق يستجيب مع المواقف بشكل يثير الشوق ويجذب القارئ لمعرفة النهاية .

٤ - أن الكاتب ينهي قصصه نهايات مختلفة .. قد تكون نهاية عادية ، وقد تكون نهاية مفاجئة ولكنها منسجمة مع تسليق القصة ولا تبدو مقحمة وغريبة .. وقد تكون نهايات مفتوحة يشوبها شيء من الإيهام معتمدا على ذكاء القارئ وليدفعه أيضا إلى التفكير للوصول إلى النتيجة التي يهدف إليها . وسنتناول هذا الموضوع أيضا في دراسة مستقلة .

والحقيقة ان الكاتب الكبير محمود البدوي رائد
القصة القصيرة الذي وهب نفسه لها وعاش راها في
محرابها يحتاج الى العديد من الدراسات لتكشف عن
الجوانب المتعددة التي تتضمنها قصصه .

ان محمود البدوي بطبعه الهادئ وحساسيته
المرهقة يجب ان يبعد عن الضوضاء وعن الشعارات الكاذبة
ويعمل في هدوء وإخلاص ويترك العمل هو الذي يفرض
نفسه ويؤمن تماما بأنه هو الذي يعيش ويخلد صاحبه .



عالم سعد حامد القصصي

لكل كاتب عالمه الخاص الذي يعيش فيه ويظل ظله ممتدا في أعماله ولا يمكن الوصول إلى سره وسمائه إلا بالمعيشة الكاملة لأعماله كلها حيث تكتمل الصورة اكتمالا يكشف عن أفكار الكاتب وعالم الكاتب سعد حامد عالم ليس سهلا كما يخيّل لأول وهلة كل من يقف على بابهِ أو يلجّه بسرعة .. ولكن القراءة المتأنية المستبطنة للأعمال من الداخل تكشف عما يموج به عالم هذا الكاتب .. وهو عالم ليس بسيطا أو ساذجا كما يتصور البعض ولكنه عالم متشابك يموج بأفكار مختلفة تحمل فلسفة الكاتب في الحب والموت والحياة والسياسة وإذا كان هذا العالم يبدو عالما ورديا تستشيق شخصياته فيه الحب مثل الهواء فهذا ليس إلا شكلا يصوغ فيه الكاتب مضامينه القصصية وأن بدت قصصه متشابهة ولكن المدقق الفاحص يعرف أنها تختلف اختلافا بينا فالكاتب في كل قصة يضع فكرة جديدة .

والدهش حقاً أن يجد في هذا العالم القصصى أن
الكاتب يكون لاذعاً وقاسياً في مواجهته للحقيقة وهذا
يختلف مع مظهره الهادئ وسمته الأنيق .. وهذا
يكشف عن أعماقه الثائرة كالبركان .

وقبل الولوج الى عالم سعد حامد القصصى نود أن
تقدمه للقارىء مع إشارة الى الأحداث البارزة في حياته
والتي يمكن أن تؤثر فيه وينعكس هذا التأثير على أعماله
القصصية لقد احتترف سعد حامد الكتابة عام ١٩٥٤
حيث نشر في جريدة الجمهورية وترجع رحلته مع الكتابة
الى سن مبكرة .. فقد بدأ الكتابة عام ١٩٤٥ وهو طالب
بالمدرسة الثانوية ونشرت أولى قصصه بمجلة ال ٢٠ قصة
التي كان يصدرها محمود كامل الحامى .. ويمكن أن
نقول أن سعد حامد اتجه بكتاباته الى الرومانسية في
كتاباته الأولى بحكم سنه ولكن نرى بعد مرحلة الشباب
أنه اتجه الى الواقعية خاصة عندما بدأ الاحتراف
عام ١٩٥٤ لسببين :

الأول : اتجه الأدب في ذلك الوقت الى الواقعية في
بدء الثورة حيث اتجهت الى الاشتراكية والاهتمام
بالإنسان ومشاكله ، والثاني يرجع الى تأثيره بأعمال
تشيكوف وجوركى وموباسان مثل معظم كتّاب جيله الذين
أمتد اليهم اثر تشيكوف ولهذا نرى أن جميع قصصه منذ
هذه الفترة حتى الآن يستمد أحداثها من الحياة .. من

الواقع الذي يعيشه ولذا نتعاش معهما بسرعة ونتألف مع شخصياته ونشاركها احساساتها ويرجع ذلك الى نجاح الكاتب في تصوير القصة ورسم الشخصية رسما دقيقا .

ونتقل بعد هذا الى حادتين هامين كان لهما اثر كبير في حياته وفي قصصه .. فقد توفي والده وهو في السادسة من عمره ثم انتقلت والدته الى رحمة الله وهو في الخامسة عشرة وهاتان الحادتان تركتا بصماتهما الحزينة عليه وكان هذا الحزن دافعا الى الكتابة كوسيلة من وسائل التنفيس البناءة بدلا من تحوله الى وسيلة اخرى تجريبية تدمر الانسان وتقضي عليه والام يبدو ظلها على معظم قصصه فنجد حديثه عنها فيه حب وتقدير وخشوع باعتبارها تمثل النموذج المثالي عنده فهي نبع الحنان والحياة .. وشاطئ الأمان له عندما تضيق الحياة عليه الخناق .. ولذلك في حديثه عن المرأة اما وزوجة او حبيبة .. نجده عندما يتحدث عن الأم يبين مكانتها العظيمة وينزعج بشدة عندما تخطيء وبصدر حكمه في فسوة على الأم الخاطئة لأنها في نظره تكون لونت اشرف كلمة .. ويبدو تأثره بأمه واضحا في رواية « البحث عن النسيان » التي تصور رحلة البطل مع القلق نتيجة الحوار العاطفي الذي يعيش في اعماقه رغم زواجه لأن الزوجة او بيت الزوجية وفر له الاستقرار المكاني .. هي شاطئ

الأمان الذى يلجأ اليه هرباً مع ضربات الحياة .. فزوجته
تشبه أمه فى أداء وظيفتها ولذلك راح يبحث عن الحب
لإرضاء هذا الشبق العاطفى .

إن الحب هو المحور الأساسى الذى تركز عليه
أعمال الكاتب لأنه يراه شيئاً ضرورياً للإنسان .. فهو يرى
أن الإنسان بدون حب لا يعيش .. ولا يتصور أن يرى
مجتمعاً يعيش بدون حب .. الحب يمثل عند بعض
شخصياته شاطئاً تأنس اليه عندما تتأزم الأمور ..
ويمثل ذلك فى حب الأم أو الزوجة أو الحبيبة ..
والكاتب أيضاً يهتم بالعلاقة بين الرجل والمرأة فى صورها
المختلفة .. المرأة الأم .. « الزوجة .. الحبيبة ..
العشيقة .. ابنة الليل .. وهو فى كل صورة من هذه
الصور يقدم جانباً من جوانبها الأخلاقية ويكشف عن
سلوك المرأة ويسير غورها .. ويكشف عن عالم المرأة
المتشابك يكشف عما فيه من حب وكره .. وسيطرة ..
وخسة وخيانة .. وهذه الكلمات التى جاءت على
لسان بطل قصة « الخوف من الحياة » تبين نظرتة الى
المرأة عموماً ، وهى نظرة أساسية تمثل محور تفكيره
« وكان يعتقد أن الرجل الذى لا يحب المرأة هذا الحب ،
ويحترمها ويقدرها ، هو رجل غير طبيعى وشاذ لأن المرأة
هى الأم .. هى أصل الوجود .. ومصدر الحياة ،
ويتبوع الحب والحنان المتدفق الذى لا يذهب أبداً » .

وكذلك يكشف أيضا من عالم الرجال وما فيه من سلوك وتصرفات .

وشخصيات سعد حامد قلقة دائما .. تحس بالضياع .. وقلقها هذا لا يأتي من فراغ ولكن يأتي انعكاسا لتناقضات المجتمع أو فشل في حب .. أو فشل في تحقيق أمنية .. وهذه الشخصيات أحيانا تفرق فشلها هذا في الخمر أو في اللبائس الحمراء مع بنات الهوى، وأحيانا أخرى تستنقد الشخصية نفسها أو يتقلدها صديق ناصح أو موقف تتعطل به فيكون رادعا لها .. وإذا كان هناك من شخصيات ما تعاني الفلق فهناك شخصيات أخرى تحب الحياة .. وهي ليست كلها شخصيات متهاوية متهافنة تسحقها الأزمات سواء كانت عاطفية أو اجتماعية أو اسرية منها شخصيات تمتلك القدرة على الخروج من أزماتها وتمتلك الإرادة وبجانب ذلك كله تحمل بين جنباتها قلبا ممتلئا حنانا وحبا يجعلها رحيمة حنونة .. الكاتب يقدم نماذج إنسانية تحمل عناصر الخير والتطلع إلى الحياة التي سرعان ما تنقلب على الجانب السيء عندما تتوفر لها الظروف الصالحة .

وأما من ناحية الشكل القصصي فقد اختار سعد حامد الشكل البسيط للقصة المعتمد على عرض الحكاية من خلال السرد والوصف في أسلوب شاعري رقيق والفاظ شنية .. وهذا الشكل البسيط سهل ممتنع

لا يقدر عليه الا الكاتب المتمرس بالكتابة ويمتلك قدرة فنية اكتشفها من خلال خبرته الفنية .. لقد أصبح هذا الشكل البسيط سمة من سمات سعد حامد بما اغنى عليه من قدراته الفنية فاستنفذه من السذاجة والسطحية .. والملل الذي يمكن ان يتسرب الى القارئ لوقوع القصة في البرد الطويل الذي يفسد القصة .. ولذلك نرى سعد حامد عنده حساسية نحو اختيار الفاظه وتكوين جملة لأنه يرى انهما شيئاً أساسياً في بناء قصته .. كما أنه يتحكم في القصة ويسيطر عليها حتى تخرج في النهاية في بناء فنى متين .

وكما يبين الكاتب وجهة نظره في المرأة عموماً ثم فصل بعد ذلك الصور المختلفة لها من خلال المواقف التي تتعرض لها كما سيأتى الحديث عنها .. يبين وجهة نظره في الحياة بالنسبة لشخصياته ، فالحياة مثل المرأة المشروخة « ما أشبه الدنيا بهذه المرأة الباهتة المشروخة عليها تنطبع صورة الوجه لحظة .. ثم يمضى صاحبه غير مخلف عليها أثراً » (المرأة المشروخة - الخوف من الحياة) وفي مقابل هذه النظرة نجد نظرة أخرى تؤمن بأن سنة الحياة في الاستمرار وعدم التوقف ولذلك « الخير كل الخير في أن يعيش الإنسان الماضي ، ولا يتوقف في مكانه والخيانة لا تتوقف أبداً » وتطبيقاً لهذه النظرة التفاضلية نجد بطل قصة « المرأة المشروخة » يتغلب على

حزنه لموت زوجته ويعيش حياته وكذلك الدكتور رمزي في قصة « وجه في المترو مجموعة الخوف من الحياة الذي فقد بصره في حادثة لا يستسلم لليأس ويتكيف مع حياته الجديدة بعد فقد بصره ولا ينسى الكاتب أن يبين دور الزوجة المخلصة في مساعدة زوجها مثل زوجة الدكتور رمزي التي تقف بجانبه مؤدية دورها معه على أكمل وجه .. ونرى هذا التقاضي المخلص في قصة « زهور ذابلة » مجموعة الخوف من الحياة - فالمرضة تحب مريضها ولكنها لا تكشف عن هذا الحب لحبيبها التي كان يراها امرأة جامدة .. مثقلة المشاعر « انها امرأة جامدة تؤدي عملها في اخلاص لكنها لا تشعر بالام قلبه .. وبالحنان الذي يعذبه .. وبالشوق الذي يؤرقه .. نحو فئاته المجهولة .. وما شأنها بكل ذلك . انها كالألة التي تدور لا تحس ولا تشعر بمواقف الناس وخفقات قلوبهم ويكتشف انداء الكاتب عن الطرف الآخر وهو الممرضة وما تحمله من حب لهذا المريض في كلمات قصيرة تقولها بعد ما غادر المريض المستشفى « ليته يعلم .. ؟ ليته يعلم انني صاحبة باقات الزهر .. ولكن هل كان يقدر هذا الحب .. لا اظن .. لا ريب انه كان سيلهو بقلبي ويحطمه ثم يتركني وينطلق الى الدنبا الواسعة » والحب كما قلنا هو عنصر هام عند هذه الشخصيات وفقداء له يؤثر على نفسياتها ولكن منها التي تنحكم في قلبها وفي سلوكها ومنها التي لا تستطيع فتح

نهى للقلق والملل والعذاب كما في قصة « لماذا أعيش »
 فبطلها كاتب متخصص في الكتابة عن الحب وعن آلامه
 وعذابه .. فالحب لعبته الأثيرة ورغم ذلك يعيش بعيدا
 عنه .. يعيش في جلد فزوجته لا تعطيه الحب المنشود
 لانشغالها في خدمة الأولاد وأجبات البيت « هذه الزوجة
 تصر اصرارا قاتلا على تجاهل عاطفة الحب .. وتعتقد
 انها كلمة زائفة لا معنى لها .. وأن الحياة كلها اكل وطبخ
 ومسح وغسيل .. فهو يعيش معها مرغما من اجل
 اولاده » وإذا فقد الانسان الأمان في بيته فقد الأمان في
 حياته .. انه يرى البيت الظل الذي يلجأ اليه ليستظل
 به شقاء الحياة .. فالشقاء في كل مكان .. في البيت ..
 وفي العمل .. وفي التسارع .. وفي المقهى .. وفي
 الحانة .. وكل يوم يصلب مسيح جديد ويعذب ..
 وليست هنالك يد واحدة تمتد لتنقذه من عذابه « ..
 فلماذا يعيش الانسان اذا كانت حياته شقاء في البيت وفي
 خارج البيت هنا يشعر الانسان بالعزلة ويتفصل عن واقعه
 ويبحث عن وسيلة للخلاص قد يكون بالموت سريعا
 أو بطيئا لفقدانه التوازن النفسي لفقدانه الحب الحقيقي
 الذي يكتبه للناس وينادي به .. انه لا يطلب شيئا من
 الحياة أكثر من حياة كلها حب .. امرأة تحبه تمنحه
 الحب والحنان كلما احتاج اليهما .. ويبادلها حبا بحب
 وحنانا بحنان .. وليس مجتمعا أشبه ما يكون بفاية

قانونها الافتراس والنهش واعتداء القوى على الضعيف ..
انه يتمنى ان يعيش في مجتمع يخلو من الحقد والفس
وتدق دقاته مع دقات قلبه .. فتعزج دقات القلبين في
سيفونية خالدة » .

فالكاتب في هذه القصة يكشف عن النفاق الذي
يمكن ان يعيشه المثقف في بيت يفتقد صاحبه الى الحب
الذي ينشده الزوج المثقف او في مجتمع ينخر فيه
السوس .. ان بطل القصة امام هذه الضغوط جميعها
لا يرى وسيلة للخلاص الا الموت .. اذ ما معنى الحياة
بدون الحب بين الانسان واخيه الانسان .. ولا يمكن ان
يزدهر هذا الحب الا في جو تقى ومناخ اسرى واجتماعى
وصحى ولان هذا الجو الانساني غير مفتقد في الواقع فان
بطل القصة يبحث عنه في الاحلام احلام اليقظة مع
سحائب دخان المخدرات « ان اسعد لحظات حياته هي
تلك التي يعيشها في غيبوبة المخدر او في نشوة الكأس ..
ان اسعد الناس في هذه الدنيا هم المخدرون ..
والمخمورون والجهلاء » .. ويقول عن هذا العالم المخدر
ايضا « في هذه اللحظات تموت كل همومه ومتاعبه والآمه
وينسى كل شيء .. ينسى حياته الشقية ، وطموحه ، ومثله
العليا والحياة الجميلة التي يحلم بها .. يصبح كل شيء
سوى اللحظة التي يعيش فيها منتشيا غاية النشوة ..
ذاهلا عن كل شيء .. حتى عن الطريق التي يسير فيها ..

انما يمضى كما تحمله قدماء .. فى عالم من صنع يديه ..
فى عالم الضياع المشيع بكل الحواس « وامام هذا الشقاء
الذى ينوء به الا ان يعيش وحيدا مع نفسه ويتحول
الوجود هذه الى « مجرد نكتة سخيفة مكررة ، وبحسب
بانه مطعون فى القلب .. طعنة دامية .. وقلبه ينزف
دما لا يجف » . ويربط الكاتب بين وجود الحب او فقدده
عند الانسان الى الظروف الاجتماعية كما بين فى القصة
السابقة ويؤكد هذا المعنى فى قصة « الخوف من الحياة »
التي يكشف فيها عن اثر الاستقرار الاجتماعى وما يستتبعه
من امان يساعد على ازدهار الحب فى النفوس .. ولكنها
عندما يكون المجتمع مسرحا للتناقضات والشعارات الزائفة
وفريسة للطغالبين يفقد الانسان السوى نفسه لاهتزاز
قيم المجتمع .. وعند هذه النقطة يتحدر الى مساوى
التهلكة كوسيلة للخلاص فكما وجد بطل قصة « لماذا
أعيش » البديل فى المخدرات نرى بطل قصة « الخوف
من الحياة » الخلاص فى الخمر ليفرق فيها حزنه
وكآبته .. ليتخلص من عبء الشقاء الثقيل بعد ما فقد
الامل فى المجتمع وفى الناس « ما دامت الحياة كثيية
موحنة مملة .. عبء ثقيل .. ليست عليه وحده بل
على جميع الناس .. والمجتمع مريض لا يرجى له شفاء ..
والناس كلهم مرضى .. بعضهم مريض بالهوس الدينى

وبعضهم بالهوس الجنسي وبعضهم بالانفصام والاكتئاب
والقلق النفسي والادمان وفي كل مكان يجد شيئا وجماعات
وفرقا تتضارب وتتصارب وتتقاتل .. يجد المتزمتين
الذين يكرهون كل جديد ويتعلقون بأذيال الماضي
البقيض .. ويجد المقلدين الذين يكون وراء العيب
واللامعقول .. ويجد اليساريين المتطرفين الراقضين بكل
القيم .. ويجد الرأسماليين الذين يخافون على ثرواتهم ..
والاشتراكيين يدعون للاشتركية .. ويجد الذين يهاجمون
الاشتركية ويقولون انها وزعت الفقر على الجميع ..
يجد المناققين والمرتبين واللصوص والمستغلين الذين
يدينون بكل مبدا ويجد المحدثين المتحررين من كل دين
وعقيدة .. يجد الذين يجبدون الضغط وكبت الحريات
الشخصية ويشابعون سياسة الحديد والنار .. ويجد
الذين يريدونها حرة وفوضى لا ضابط لها .. يجد
الساخطين على كل شيء .. على الماضي وعلى المستقبل ..
والبائسين من اى أمل في الإصلاح .. كل هؤلاء يبحثون
عن طريق هذا الضرب وهذا الضجيج وهذه الثائرة من
نسيان حياتهم البغيضة التعسة الكريهة .. وكل هذا
نتيجة محتومة للفساد والضغط والكبت الذى يش منه
المجتمع ، والحياة البائسة التى يعيشونها » .

فالكاتب يحل المناقضات التى تمزق المجتمع
وانعكاس ذلك على الانسان ويبين فى وضوح وحده ان

المجتمع الفاسد يبدل فيه الحب وتضيق القيم .. وتبعاً لذلك يضيق في هذا البحر المتلاطم الإنسان .. وينحول الناس إلى « مرضى بالاكئاب والقلق والضغط والسكر ولأنيميا .. وأينما تلقت يرى رجالاً يحاولون الهرب من حياتهم بشتى الطرق .. بالمخدرات والخمر وبالجلوس في المقاهي ليل نهار ويلعبون الورق » .

هكذا يبين الكاتب أثر الظروف الاجتماعية والسياسية على الإنسان ، والكاتب في قصصه متعاطف مع أبطاله المنسحقين أمام الظروف الأقوى منهم المحيطة بهم ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وتغييرها إلى الأفضل .. متعاطف معها لأنها شخصيات تصارع من أجل قيمة سامية هي الحب .. الحب في صورته المختلفة .. حب الله .. حب الوطن .. حب المرأة أما أو أختاً أو زوجة أو عشيقة .. وعندما نفقد حباً من هذا الحب نفرق في بشر الضياع والتمزق وهذه هي مأساة الإنسان في هذا العصر المادى أنه يرفض بشدة وعن اقتناع هذه الحياة .. أنه يموت أو ضياعه يعتبر أدانة لهذا العصر الغاية التي أصبح فيها الإنسان أحقر من الحيوان لأن الإنسان يقتل أخاه الإنسان قديراً ولا يرعى مودة أو العيش والملاح كما يقول المثل أو يخونه أو يسرقه ففي قصة « الإنسان فالصديقان يعيشان في سعادة لفتت نظر بطل القصة إلى حياتهما المتألغة المنسجمة » كنت أراهما

دائما .. وهما يضحكان معا ويأكلان ، وقد بدت على وجهيهما سمات الرضا بالواقع .. وكنت أفكر أحيانا في حيائهما الفارغة الموحشة ، وفي أى شيء يفكران وما آمالهما في الحياة ، وهل يعرفان كلمة اسمها السعادة ؟ ولكن .. ذات مساء ، رأى شيئا جعلت له نفسه وإحس بالمرارة .. رأى أحد الرجلين ينتهز فرصة غياب زميله ويسرق من بضاعته .. وكررها مرات .. ثم حضر الزميل وأكلا معا .. ثم قام السارق ونام فقام الزميل وسرق من صديقه وكررها أيضا مرات .. ثم أغلق الدكان وقام جانب صديقه كأنه لم يفعل شيئا .

فالكاتب في هذه القصة بأسلوبه البسيط يعبر عن أساءه ومرارته تجاه ما رآه من غدر الإنسان بإخيه الإنسان .. انه يدين الإنسان الخائن « بخيانة الإنسان وطعمه » .. بهذه الكلمات القليلة يعبر الكاتب عن نفسه .. ومثل هذا الإنسان الضعيف مرفوض من أناس قلوبهم تعرف الصديق .. أناس يمتلكون عناصر الإرادة التي تنفذها في لحظات الضعف التي يفقدون فيها كل شيء حتى أنفسهم كما في قصة « الرجل الذي أكرهه - مجموعة الرجل الذي أكرهه - فشوقي رجل يتقلب عليه عنصر الشر الكامن في نفسه .. عبد لشهوته .. وقد صور الكاتب هذا الجانب عند شوقي بصديق اسمه « عبده الحيوان » الذي يسيطر على شوقي لضعف إرادته » حاولت كثيرا لكنني لم أفلق .. كان

يلاحقنى رغما عني . ويطاردني في كل مكان بحديثه
 المعسول الساحر فيجرتني خلفه كالسائمة .. صدقتي ..
 صدقتي .. كثيرا ما ثرت عليه وقاطعته اياما ثم اجدني
 مشدودا اليه او اراه فجأة امامي يصالحني . وبأخذني
 معه لتقضي ليلة نسي فيها متاعب الحياة ومللها وتفاهتها
 « وبعد هذا الصراع المحتدم في أعماق شوقي تنتهي حياته
 بالانتحار .. وينقل الملل الى ضحية اخرى في قصة
 « نهاية السباق - مجموعة الرجل الذي اكرهه - فنرى
 السيد عبد اللطيف رغم حياته المستقرة ماديا .. وهذه
 الحياة التي حققها بعد كفاح مرير وحرمان النفس من
 متع الحياة .. يشعر بالمرارة والملل من حياته ويكتشف
 ان الحياة تافهة « لا تستحق كل هذا التعب .. وكل
 هذا الجهد الذي تبذله في سبيلها .. هذا هو حصاد
 حياتي .. مرضى وعزلة واحزان ملحة « لم ينفعه المال
 الذي جمعه لم يبدد ما يشعر به من كآبة وحزن « ان
 حياتي كثيرة ومملة .. القلق يؤرقني ، والملل يلأزمني
 والاحساس بعدم جدوى الحياة يسيطر على .. اقضي
 وقتي في فراغ دائم .. في الليل تجثم على الهوم ،
 وتطاردني الآلام .. ما جدوى حياتي الآن ؟ انها حياة
 خالية من كل ما يبهج حياة كثيرة .. حقيقة انا نرى
 واملك المال الذي استطيع ان اشترى به اى شيء ولكن
 ماذا ينفعني المال وانا مريض « .

الكاتب في هذا التحليل يضع الانسان امام نفسه .. في جلسة محاسبة مع النفس بعد فوات الأوان .. هادفا من هذا الموقف الذي يضعه الكاتب فيه ان يقول ان على الانسان ان يستمتع بحياته .. ان يعمل لدنياه حقا ولكن عليه الا ينسى نفسه حتى لا يضيع في دوامة الحياة وموقف السيد عبداللطيف هذا عكس موقف بطل قصة فرصة للسعادة - مجموعة الرجل الذي اكرهه - لقد اراد ان يبحث عن فرصة للسعادة بالزواج من « محاسن » لتضيء سنوات عمره التي بددها غارقا في ملذاته .. اراد بطل القصة ان يسرق لحظات السعادة بعدما فاته قطار العمر .. اراد ان ينقل نفسه من الدمار حتى لا يكون مثل السيد عبداللطيف بطل قصة « السياق » ولكن « محاسن » تصدمه بالحقيقة المرة التي يحاول ان يتناساها « اننى يا عزيزى لا أصلح معرصة لرجل عجوز » فهذه الشخصيات فقدت الحب عندما نسيت نفسها واستسلمت لشهواتها ومطامعها وانانياتها .. فكانت نهايتها اما الانتحار أو غرقا في الخمر والمخدرات لخلق عالم جديد تعويضاً عن واقعها الذي فقدته لسطعها .. وتكون النتيجة ان هذه الشخصيات تفقد الواقع والحلم معا ..

ورغم شغف شخصيات مسعد حامد بالمرأة ومحاولاتها الدائبة لخلق جسور التفاهم بينهما لخلق عالم الاستقرار الذى يشدونه .. ورغم ان هذه الشخصيات

تبدو متهافنة مدلهة بالمرأة يحركها الحب العذرى أحيانا
ويحركها الشهوة أحيانا أخرى فأننا رغم هذا نجد
شخصيات تتمتع بالضمير الحى الذى يمثل عندها صوت
المجتمع المحكوم بالمعادات والتقاليد .. ويتمثل ذلك فى
« امرأة وحيدة » - الحذف من الحياة - فبطلها يهرب
من أرملة جميلة وحيدة تبحث عن الدفء والحنان خوفا
عليها وحفاظا على رباط الزوجية المقدس ويعترف للأرملة
بأنه يهرب « خوفا من قهر سلطان الحب » وكذلك فعل
« عادل » الشاب الهادئ .. فقد هرب من فتاة مراةقة
تطارده فى الإسكندرية ولكن حفاظا على علاقات الود بينه
وبين والديها يهرب منها خوفا عليها الى القاهرة وبعد
ذلك يقرأ خبر انتحارها .. فظل وجهها يطل عليه فى كل
لوحه يرسمها .. وكذلك فعل رافت فى قصة
« الجفاف » .. لقد فاته قطار الزواج .. ويلتقى بفتاة
صغيرة فى الاتوبيس .. ويتفقان على موعد للقاء .. ويذهب
فملا حسب الموعد المحدد ولكن يتراجع عن رغبته « لقد
تفجرت فيه مشاعر الأبوة ، وأحس نحوها شعورا
غريبا يشبه الى حد كبير شعور الأبوة الذى لم يحس
به من قبل ، فسحب نظراته بعيدا عنها وتركها واقفة
تنتظر » دون جدوى .. وفى قصة المجهول « يلقى الكاتب
درسا قاسيا على كل انسان مبتدل التصرفات يمتعن
نفسه ويمتنع المرأة ، فبطل القصة يقدمه الكاتب فى أول

القصّة بأنّه إنسان شغوف بالمرأة ، ويهيم حيا بها .. الأمر الذى جعله يطارد أى امرأة فى الشارع .. وهذا التقديم الفاتع لشخصية بطل القصّة بهدف الكاتب من ورائه أن يبين مدى التغير الذى سيحدث فى شخصيته فى نهاية القصّة .. عندما يطارد امرأة فى الشارع حتى بيتها وهى لا تنظر اليه .. وعند البيت يقابلها طفلاها ويخبرها بأن اختهما سنية « ماتت .. لقد قصد الكاتب من هذه النهاية الحادة أن يحدث الصدمة الكهربائية الشديدة ليغير الشخصية فبعد ما كان « الحب هدفه الوحيد والمغامرة - لذته - وكان قلبه يخفق كلما رأى امرأة جميلة « أصبح إنسانا آخر .. غيرته نظرات المرأة المكشوفة التى شيعته بالاحتقار « وفى هذه اللحظة نظرت اليه المرأة نظرة لن ينساها بقية حياته .. اتسعت عينها وتآلقت بالدموع .. وكان فى عينها احتقار رهيب وكراهية ومقت .. ثم تحركت مع طفلها ودخلت الى البيت » .

بهذه النهاية الصامتة الحزينة المكثفة التى اغنت من صفحات يمكن أن تكتب فى مثل هذا الموقف فالكاتب بقدرته الفنية ينهى القصّة هذه النهاية الحادة الفاتلة .

ونظرة الكاتب الى المرأة تتعرف عليها من خلال بعض القصص التى تناول فيها المرأة فى مواقف مختلفة .. فهو لا يقر الخطيئة من زوجة لا تحترم الرباط

المقدس مهما كانت الظروف التي تقابلها .. في قصة « الثوب الأسود » يكشف الكاتب بذكاء من خلال معالجة فنية لموقف يفجره الكاتب بين الأرملة والشاب المعجب بها .. وبعد سقوط من ناحية الشاب تضعف الأرملة .. ثم تغادر الحي إلى آخر هربا من الخطيئة بعضها الندم القاتل .. وفي قصة « زيارة في الليل » نجد الكاتب يدين الخطيئة عن عمد ويوقع العقاب بصاحبة الخطيئة .. فالزوجة المعجوز الثرى وهو على فراش الموت .. تخونه مع الطبيب المعالج لتنجب طفلا حتى لا تضيع الثروة من يديها .. وتحقق الأمنية .. ولكنها تموت بعد مولد الطفل .. ولا تستمتع بمولودها جزاء خطيئتها .

في مقابل هذه القصة يقدم نموذجا للزوجة المخلصة كما في قصة « المساة » مجموعة الرجل الذي اكرهه - والمساة هنا ترمز إلى الزوجة الوفية المؤدية واجبها .. في هذه القصص التي عرضناها نجد سعد حامد يربط بين الحب والظروف الاجتماعية .. أنه يبين المناخ الاجتماعي والنفس الذي تعيش فيه الشخصيات حتى لا تبدو لنا انها شخصيات تأتي من فراغ .. أو شخصيات هلامية غير محددة الأبعاد فيشعر القارئ بأنه يعيد عنها لا يربطه بها رابط ولكن الكاتب يراعى دائما أن يحدد الشخصية والظروف المحيطة بها لتبين أسباب كآبتها ومللها . ولأنه يأخذ من الواقع الذي نعيشه فاننا نحس

بالإرباط بها والقرب منها .. ويؤكد الكاتب على الظروف الاجتماعية التي تمر بالإنسان لها من أثر كبير في تشكيل حياته وما تحدثه من تغيرات في شخصيته .. ان الكاتب يرى أن الحب في هذا العصر المليء بالمشاكل والهموم والقلق من المستقبل .. ان الإنسان يبحث عن الأمان وسط هذا البحر الصاخب .. كيف يعيش الحب في هذه الظروف القاتلة ففي قصة « لا مكان للحب » يبين من خلال أربعة مواقف .. في الموقف الأول يبين ما يعانيه الإنسان من مشاكل يوصيه من أجل البحث عن لقمة العيش .. الزحام .. المواصلات .. الناس المنافقون « في العمل .. رأيت وجوها صفراء ، وعبونا تشسع خبثا وكراهية .. رأيت النفاق .. والزيف .. والوقعية .. يقابلك أحدهم بوجه في براءة الطفولة ثم يدخل الى رئيسك فيدس لك دسا قد يتسبب في تشريدك وخراب بيتك » .

وفي الموقف الثاني « الشفقة الأولى » وسط هذا الزحام من المشاكل والهموم يبحث الإنسان عن نقطة مضيئة في حياته لتبدد الظلام الذي يفلق حياته .. يتذكر بطل القصة وجه أول امرأة أحبها .. يرتد بذكرانه الى الماضي لينسى الحاضر بمعاناته وأحزانه .. ثم يرد البطل أن يعرف شيئا عن حبيبته هذه حتى لا يعرف عنها شيئا يشوه صورتها الجميلة .. أراد أن

يعيش معها بصورتها التي احبها عليها .. « كنت اريد
ان اظل انصورها كما كانت .. لم تكتهل او تمرض
او غادرت دنيانا .. كنت اريد ان تبقى نهايتها مجهولة
لي .. ففي المجهول راحة وسعادة وامل متجدد .. اننا
كثيرا ما نخدع انفسنا لتهرب من مواجهة الحقيقة »
فالكاتب يجعل هذا الحب رمزا للسعادة التي يبحث
عنها الانسان دائما .. وفي الموقف الثالث « الفراق »
يرى لحظات الوداع في وجه طفل يودع والده في وجه
زوجة تودع زوجها وام تودع ابنها .. كل لحظات
الوداع هذه يعيشها بطل القصة الثالثة نتيجة الحزن
الذي يسيطر عليه « وسرت وحدي في الطرقات .. وانا
دائما وحدي .. سرت خافق القلب حنانا ، وفي خيالي
صور لا تمحي .. عيون دامعة .. ابتسامات حزينة
كلمات هامسة .. اياد تلوح مودعة .. سرت هائما ابحت
عن وجه يبتسم لي .. ما اجمل الابتسامة على وجه
الانسان ان اغلى والتمن وأعظم هدية تقدمها للانسان
ان يبتسم في وجهه او يد تلوح لي مودعة في حنان الحب
او قم جميل يهمس لي الى اللقاء » .

ان شخصيات القصص تحمل افكار الكاتب وآراءه
في الحياة والحب فهي تؤمن بالحب ايمانا عميقا لها
لتعيش في هذه الحياة التي تطلحنها بين غروسيها ..
فالحب عندهما كالهواء والماء تماما لا غنى عنها عن

الحب .. فهو الأمان والسعادة والوجود والخلع
وبدونه الضياع والجذب والقلق .. فالإبتسامة لها أثر
ساحر في نفسية هذه الشخصيات المطحونة .. ومن
أجل هذه الإبتسامة ترى الأب في الموقف الرابع « حلوة
المولد » يبيع كتبه ليشتري علبه حلوة للأولاد .. ويركب
الأنوبيس .. ويعطى العلبة لأحد الركاب الجالسين ..
ويزداد الزحام ويتوه منه الرجل ولا يعثر عليه في محطة
الوصول .. ويدخل البيت حزينا .. ويقتله الهم والكمد
عندما يرى السعادة تخبو في عيون أولاده عندما وجفوه
لا يحمل علبه الحلوة .

وهكذا ترى أن سعد حامد لا يقف من مشاكل
مجتمعه موقف المتفرج بل نراه يشارك فيها مشاركة
فعالة وبشكل حاد وهو يواجه هذه المشاكل بحدة وقسوة
ليحدث الصدمة المزلزلة في نفسية شخصياته ليدفعها
إلى التغيير .. وهو يلجأ في هذا كله أحيانا إلى كلمات
مباشرة يقتضيها الموقف ولكنها مشحونة بالانفعال الصادق
تنخرج قاطعة كالسكين .. وأحيانا من خلال عرض
المواقف الساخرة مستخدما المقارنة بين المواقف معتمدا
على ذكاء القارئ في الوصول إلى الهدف الذي ينشده ..
ومما يلتفت الناظر حقا ويحدد الإشارة إليه أن الكاتب
هاديء الطبع .. يدل مظهره على الوداعة والبعد عن
القسوة ولكن الكاتب كتاباته تكشف عن أعماقه المحتدمة

- التي تبدو واضحة في الفاظه فرغم انها رقيقة الا انها حادة كالسكين .. تنغرس في القلب فتدميه .. وتبدو حدية الكاتب بالذات عندما يتعرض للمشاكل الاجتماعية والفوارق الطبقة وعندما يتعرض لخطيئة زوجة .. ففي قصة « التفاحة » مثلاً - مجموعة امسية للحب يبين مدى الحرمان الذي يعانيه الانسان الفقير الذي لا يستطيع ان يشتري تفاحة الا بعد تضحيات واستدانات لتحقيق حلم شراء تفاحة ، بينما يوجد في المجتمع من يستطيع شراء اقفاصا من التفاح ، بينما « عم ابراهيم » يضطر الى الاستدانة ليكمل ثمن كيلو تفاح ليقدمه هدية لابنة صديقه في يوم زواجها لانه سمعها مرة قبل زواجها انها تريد ان تذوق التفاح « كم اشتهى ان اتذوق طعمه .. واحدة فقط .. او نصف واحدة او حتى قطعة صغيرة منها ، لكي اتمنى ان احصل على تفاحة من هذا الصندوق » فردد عليها « عم ابراهيم » هذا طعام الاغنياء يا ابنتي .. اما نحن الفقراء فيكفى ان نراه من بعيد ونذوق طعمه في الأحلام .
- وفي قصة « الخوف من الحياة » نرى البطل يهرب من شقائه الى الخمر .. لأن الحياة أصبحت لا طعم لها .. كيف يعيش فيها وهو لا يستطيع ان يحقق احلامه وامانيه لأن المجتمع مريض .. والحياة تحولت الى عبء ثقل عليه وعلى الناس .. تهدم كل حياتهم بقسوتها

« الحياة كثيفة موحشة مطلة .. عبء ثقیل لیست علیه وحده بل علی جمیع الناس .. المجتمع مریض لا یرجى له شفاء .. والناس کلهم مریض .. قبعضهم مریض بالهوس الدینی وبعضهم بالهوس الجنسی وبعضهم بالانفصال والاكتئاب والقلق النفسی والادمان .. وفي کل مكان یجد شیعا وجماعات وقرقا تتضارب وتتحارب وتتقاتل .. یجد المتزمتین الذین یكروهون کل جدید ويتعلقون بأذیال الماضی البغیض .. ویجد المقلدین الذین یجرون وراء العبث واللامعقول .. ویجد الیساریین المتطرفین الرافضین لكل القیم .. ویجد الراسمالیین الذین یخافون علی ثرواتهم والاشتراکیین الذین یدعون للاشتراکیة ، ویجد الذین یهاجمون الاشتراکیة ویقولون انها وزعت الفقر علی الجميع یجد المنافقین والمرتشین والصوص والمتقلبین الذین یدینون بكل مبداء ، ویجد الملحدین المنحدرین من کل دین وعقیده .. وكل هؤلاء یبحثون عن طریق هذا الصخب وهذا الضجيج وهذه الثرثرة علی نسیان حیاتهم التعمسة الکریهة .. وكل هذا نتیجة محتومة للفساد والصفط والكبت الذی یئن منه المجتمع وللحیاة البائسة الی یعيشونها .. لم یر انسانا لا یشكو .. الكل یشكو وتلدمر ویضیق ولا شیء صحیح أبدا .. كل شیء معوج ومنحرف ومعزق » .

فهنا نرى الكاتب یحلل سبب شقاء الانسان فی المجتمع تحلیلا دقیقا فی صراحة ووضوح ومباشرة اقتضتها

طبيعة القصة .. انه يبين اسباب شياع الانسان في زمن
الشعارات الكاذبة المضللة والتي تسببت في الهزيمة
عام ١٩٦٧ ، لأن الانسان فقد نفسه .. عندما ضاعت
الحقيقة .. لم يجد الناس الخلاص الا في الخمر والمخدرات
كطريق للخلاص من هذه الحياة الفاسدة الظالمة المملة
« الناس حياتهم ضائعة ولا معنى لها .. ولا هدف
يعيشون من اجله .. أرخص انسان في هذه الدنيا الواسعة
هو الذي يعيش في مصر .. معذباً بالبحث عن طعامه
وعن سكن له .. يعاني عذاب السعير من كل لحظة
من لحظات حياته »

فالكاتب يستمر في بيان العذاب الذي يعيشه
الانسان من صراعه من اجل تحقيق الحياة المستقرة
ويصل الكاتب الى ذروة المأساة عندما يصور حزن
الانسان عندما يضطر الى الهجرة بعيداً عن وطنه « كان
متأكداً من أن الناس كانوا يحبون مصر في يوم من
الأيام .. اما الآن فكل انسان يريد أن يهرب منها ..
مئات الآلاف هربوا الى البلاد العربية وإلى أوروبا وإلى
أمريكا .. كان الناس يحبون مصر وتراب مصر .. ولكن
يبدو هذا الحب مات في قلوبهم فلم يعد يسمع احداً
يتحدث عن حبه لمصر ولكنه يسمع عن انسان هاجر من
مصر وآخر يريد أن يهاجر »

من خلال الحوار بين بطل القصة وبين ساقى الحانة

وفي حديث البطل مع نفسه نقف على الأزمة الاقتصادية
الصامتة التي أمانت الحب في القلوب .. نشين الشعارات
الكاذبة الخادعة التي حولتنا الى اكلوية ضخمة اكتشفت
في هزيمة ١٩٦٧ .. فالكاتب يرى ان تهيئة الظروف
الاقتصادية الجيدة والجو السياسي الصحي الذي يتنفس
فيه الانسان بحرية يخلق الانسان البناء الذي يحب
الآخرين .. ويحب وطنه .. وبدون الحرية ولقمة العيش
لا قيمة للانسان .. ولا قيمة لأي شيء على هذه الأرض .

والحقيقة ان سعد حامد يهتم بالانسان اهتماما
كبيرا فهو يدله أحيانا ويقسو عليه أحيانا ويواجهه مواجهة
قاسية ليأخذ بيده الى طريق الأمان .. الى السعادة
والتلازم مع مجتمعه وهو يرى انه لا يتحقق هذا
الا عندما يعرف الحب .. حب الله .. حب الوطن ..
حب أخيه الانسان .. حب المرأة .

وكل نماذج سعد حامد من الحياة ، قريبة منا ..
تعيش بيننا ولذلك فانا نشاركها أفراحها وأحزانها ..
نشاركها رحلة كفاحها من اجل البحث عن الخلاص
من العذاب .. والكاتب لا يكتب قصصه بهدف التنفيس
فقط لأنه في هذه الحالة « تصبح جرعة الكحول أو جلسة
الأنس أو معزى التدب والعويسل » على حد قول
الدكتور/ يحيى الرخاوي ولكن يقصد به اسهاما في اطلاق
حرية الكبت الذي يعانيه الانسان نتيجة اغترابه ، ووظيفة

الفن عموماً لا يتقف عند حد إثارة الاحساس فقط لتقريب
شحنة الكبت ولكن وظيفته هي إثارة الاحساس مع
إيجابية الفعل لتغيير الواقع .. وسعد حامد في كل
قصصه من خلال الصور والمواقف التي يقدمها بشكل حاد
وقاس يثير في الإنسان ارادة الفعل لتغيير سلبياته
بالمواجهة الصريحة وإن كانت تحمل في طياتها المرارة
كالدواء المر الذي يحمل الشفاء للمريض .

ومع أن سعد حامد معروف بأنه كاتب عاطفي ..
يتحدث عن الحب محلاً العلاقة بين الرجل والمرأة
وإبعادها ولكن نظريته تختلف عن نظرة احسان عبد القدوس
للمرأة وتصرفاتها ونظريته للحب .. فإذا كان
احسان عبد القدوس يرى اعطاء الحرية الكاملة في
ممارسة الحب بين الرجل والمرأة لأنه وسيلة لتحرير
الإنسان من القيود الاجتماعية التي تكبل تقدمه وتطوره
إن سعد حامد لا يخرج على الأصول الأخلاقية المرغوبة
والتقاليد الاجتماعية .. وهذه الحدود التي يرامها
سعد حامد تجعل شخصياته تحمل في أعماقها بذور
الإصلاح والتوبة والرجوع إلى الحق .. هذه الشخصيات
تحمل في أعماقها ضميراً حياً يستيقظ في اللحظات الهامة
الحاسمة فتنتقلها من أزمته .. أن الكاتب مع الاعتدال
في السلوك وضد المغالاة في التصرفات لأنه يرى أنها تؤدي
بصاحبها إلى الهلاك .. سواء كانت المغالاة في الحب ..

أو الخمر .. أو المخدرات .. ولأن شخصياته تعيش حياتها بكل أبعادها متفاعلة معها بكل إيجابياتها وسلبياتها ولذلك نجد عندها خيرة مكتسبة تؤهلها لتكوين وجهة نظر في الحياة وآراء نافذة وكلمات تجرى مجرى الأمثال .. وهذه الشخصيات تحمل أفكار الكاتب وآراءه ويبرز ذلك بوضوح في مجموعته الأخيرة « الخوف من الحياة » ويرجع ذلك إلى ما اكتسبه الكاتب من خيرة طويلة في مشواره الطويل مع الحياة .. هذه الخيرة التي تكونت لديه من تجاربه الحياتية ومن قراءاته وبذلك نجد عنده امتزج الفكر والفن معا .

لقد اختار سعد حامد في قصصه الشكل الفني المعتمد على الوضوح المستمد من وضوح الرؤية عنده لأن من « واجب الفنان الأديب أن يكون على بينة مما يدور في خلده وأن يقصص عنه ، وبذلك نستطيع أن نقف على آرائه في الموضوعات التي من حقنا أن نتلقى فيها الآراء الجليلة ، والواقع أن الكاتب الذي يتركنا في عمياء من أمرنا لنقاء آرائه يخلدنا ، ويشغل عن تبعاته » ونحن مع الأستاذ على أدهم في رأيه لأن معظم الأعمال العالمية التي تحظى بأعجاب القراء هي التي اتخذ أصحابها الشكل البسيط والتزموا بالوضوح مع العمق والبعد عن الغموض الذي يوجد حاجزاً بين القارئ والعمل الأدبي وقد يكون هذا الغموض كما يقول البوت نوعاً

من الادعاء « فالمؤلف يحاول ان يخدع نفسه ويعمل على ان يقتنع نفسه بان عنده اشياء يريد ان يقولها اعمق مما عنده » فصول في الادب والنقد والتاريخ - على ادهم (.

وكاتبتا سعد حامد اتخذ الوضوح شكلا لتوصيل افكاره واعتمد في ذلك على وصف رائع للشخصيات يحمل تحليلا نفسيا واجتماعيا لها مستخدما الفاظا عذبة ورفيعة ترتفع بالأسلوب الى مستوى الشعر في معظم قصصه وهذه الطريقة في الكتابة لا يقدر عليها الا كاتب مثل كاتبتا تمرس بكتابة القصة القصيرة والرواية مدة طويلة وترى مجانيا رغم اعتماده على الوصف الا انه يحرص على الا يقع في الأسباب والاستطراد الذي يجعل القصة مترهلة ولذلك نجد بناء القصة عنده متماسك والشخصيات مرسومة بدقة وسيطر على أحداث القصة سيطرة تامة .

ان سعد حامد كاتب فنان كثير العطاء ثرى الفكر مخلص لفنه وهو علامة بارزة على طريق القصة انرى المكتبة العربية بقصصه ونتمنى له دوام العطاء .

اللسان المر

يمتاز عبد الوهاب الأسواني باهتمامه بتصوير البيئة المحلية التي يعيشها ومثله في ذلك مثل فوكتر وأمثاله من أدباء جنوب أمريكا الذين يكتبون عن بيئتهم المحلية وما فيها من مشاكل وعادات ناسها وأفكارهم مرتفعين بذلك إلى المستوى الإنساني من خلال معالجتهم الفنية للقصة .. وفي رأي أن الأديب المتفهم لوظيفة الأدب هو الذي يضيف بأعماله شيئا جديدا إلى التراث الأدبي والفناني عبد الوهاب الأسواني بأعماله التي قدمها عن البيئة الأسوانية مثل « سلمى الأسوانية » وأخيرا « اللسان المر » إحدى قصص كتابه الجديد الذي صدر حديثا .. يقدم لنا مجتمعا جديدا مختلفا عن مجتمع المدينة والقرية .. ولم يحصر عبد الوهاب الأسواني عمله في حدود المحلية الضيقة ولكنه حرص على تصوير شخصياته من الجانب الإنساني ، حرص على تصوير مشاعر الحب والكراهة .. العادات والتقاليد .. هذا المجتمع الجديد المختلف عن مجتمع البيئة والقرية .

وفي كتابه الجديد المتضمن قصتين « اللسان المر » و « ابتسامة غير مفهومة » عمد الى هذا الجمع من هاتين القصتين المختلفتين في مسرح احداثهما ، فالأول تجري احداثها في قبيلة السوالم والجوابر ، والثانية تجري احداثها في المدينة .. عمد الى ذلك ليعين الفارق الكبير بين المجتمعين من خلال التناقض الكبير في البيئة وسلوك الشخصيات واخلاقهم .

فاذا كان الانسان في « اللسان المر » يحرص على العطاء لأهل بيئته حيث يدوب الأنا في المجموع واجدا في ذلك كل السعادة بصرف النظر عن بواعثه الهامشية الدائبة مثل الانتحار الا انه في النهاية يعتبر نفسه مسئولا عن كل فرد في القبيلة .. مسئول أن يحل مشكلته .. ويتمثل هذا في شخصية شمروخ مع أهل قبيلته .. فهو يحضر لهم الهدايا عند عودته من كل سفيرة .. وليس هذا فقط ولكن عندما تازمت الأمور بين « بتول » و « معوض » ووقعا في الخطيئة وهما في حذر الحب ، حل شمروخ الموقف بطريقته المعروفة حسب تفكيره .. بأن اختطف معوض وكشف والد بتول الرفض للزواج وحجزه في منزله .. وانتهت الحكاية بمأساة بموت والد « بتول » .. ورغم هذا يتعاطف معه أهل القبيلة ويشعرون بالأسى ، والشرطة تقوده للتحقيق فيتهقون « لا يغيب الله صوتك يا عمود قبيلتنا » .. وهو يحدث نفسه في هذا الموقف

العصيب « كان يقول لنفسه : لم افعل الا الخير .. لن يتخلى الرحمن عني ، لاني لم افعل الا الخير .. وحينما صعدوا به الجسر الذي يفصل نجره من المزارع التفت وراءه .. القى نظرة اخيرة على نجر السوالم الذي احبه اكثر من اى شئ آخر في الدنيا .. واستأنف سيره مرفوع الرأس » .

قشمروخ رغم لسانه المر اللاذع الذي ينال به من اهل قبيلته الا انه يعرف واجبه نحوهم وقد جعله الله غنيا .. ولذلك لم يجد اهل القبيلة فيه مجرما عندما مات والد بتول لانه عن غير عمد فالتفوا حوله ودعوا له بالبقاء واحسوا بالخسارة الكبيرة .. وهو لم يكن شعوره شعور المجرم والقاتل لان نيته سليمة ، تصرف بفطرته وبدائيته ، لقد كان ينوى الخير .. التستر على بتول ابنة قبيلته .. حماية لشرف القبيلة .. هنا نجد الفرد يدوب في المجموع يعطى وهو سعيد بعطائه دون مقابل .. خلاف مجتمع المدينة .. فهو مجتمع فردي اناني ممزق .. منحل .. لا قيم اخلاقية تربطه لانه يجمع اناسا من كل البسلاد مختلفى الطباع والأفكار ولذلك تضيع القيم واذا وجدت فتوجد حالات فردية ترجع الى اصالتها وعدم انحرافها وانحرافها وراء تيار المدينة الجارف الساحق المميت .. ففى « ابتسامة غير مفهومة » بصور بشاعة مجتمع المدينة التى تنهار فيها القيم امام انحرافاته المادية فالحبيبة

سعاد تترك حبيبها « مدحت » لتتزوج من ابن خالتها حاتم
القادم من ليبيا .. تغير طارئ على أسرة حاتم وعلى أسرة
سعاد باعثة الوافد الجديد القادم من ليبيا .. القادر على
تحقيق الأحلام والأمانى .. والف سلامة على الحب .

لننظر الى هذا الموقف المتخاذل من سعاد . والى
موقف بتول المتمسكة بحبيبها رغم العقبات الأسرية التي
تعترض زواجهما فلننظر الى هذا التمسك بالحب رغم
العقبات .. رغم وجود الخليقة ومحاولة معالجة الموضوع
بسرعة حرصا على شرف بتول .. وانظر أيضا الى هذا
الانحلال الذي نراه في شقة عباس التي تجمع مجموعة
من الصحاب على مائدة الرذيلة التي يتجمع حولها بنات
ونسوة متزوجات يبحثن عن ساعات الحظ في غفلة من
ازواجهن . لقد نجح عبد الوهاب الأسواني في عرضه
هاتين الصورتين لمجتمعين مختلفين استطاع من خلال
عرض المواقف وسلوك الشخصيات أن يبين التناقض
الحاد بين المجتمعين في معالجة فنية دقيقة بعيدا عن
المباشرة والخطابة .. ولكنه من خلال المواقف نفسها
والشخصيات من خلال تحركاتها تفصح عما يريد أن
يقوله .. في المدينة يضيع الإنسان .. والكل يأكل ويضحك
على بعض .. الفهلوى .. الذي يملك المال هو المتحكم
في مقاليد الأمور والمؤثر في الأحداث .. ونلمس دقة
الأسواني في تصوير شخصياته والتغيرات الطارئة عليها ..

فحاتم القادم من ليبيا تغير تماما « دهشت حين رأيته
يستبدل بلهجته القديمة .. لهجة جديدة تصدر من
حلقه .. اشارات جديدة اكتسبها أيضا ، منها وضع
يده في جيب سترته وهو جالس « ظهور نفخة التفاخر
والتهالي .

وعباس الشاب المستهتر الذى لا هم له الا البحث
عن النساء وشخصية يقدمها الاسوانى من خلال جملة
تتكرر على لسان عباس « وانا لا اتول لانسان انا احبك
الا اذ كنت احبه فعلا « يقولها لكل من يقابله ويجالسه
هذه الجملة تكشف عن شخصية عباس وتبين حدود
علاقاته بالآخرين .. علاقاته بالآخرين سطحية .. تنتهى
بانتهاى جلسة الأنس .. وعباس ليس الا واحدا من
مجموعة الشخصيات ، ناهد المتزوجة .. سميرة
الموظفة .. كمال شاهين .. مدحت .. يجمعهم الكاتب في
جلسة الأنس مصورا من خلالها التفكك في العلاقات
ولا يربطهم حب حقيقى .. وهذا انعكاس للظروف التى
عاشها المجتمع في سنوات الهزيمة .. ويكشف الكاتب
أيضا عن الفساد في المجتمع المتمثل في عم سعاد
السيد شريف الذى صعد الى مركز مدير
الشركة بعد التأميم .. وكيف اثرى وبنى العمارات
وينكشف أمره ويحاكم ولكن يبرأ حتى لا تشوه سمعة
أحد رجال البلد ويسخر الكاتب من براءة السيد
شريف « ومهما توارى الحق فلا بد أن يظهر يا بنى

أو ما دامت لا تؤدي أحدا فلا بد أن يفتح الله لك طريقا
ولو في المحيط نفسه ، أظهرت براءة السيد شريف وعاد
إلى عمله معززا مكرما ، ذلك لأن سمعة أحد رجال البلد
المهمين يجب ألا تشوه ما دام كل شيء مسجلا باسم
زوجته » .

وبينما أمثال السيد شريف يشبهون خيرات البلد
نجد الكاتب يبين أن البلد لا تهتم إلا للرجل العادي
المطحون .. هو الذي حب بلده ويفكر في أزمته قوالد
أمانة الشغالة المعجوز يتحدث عن خطته في إرجاع
الأرض العربية من إسرائيل .

والكاتب يربط بين الشخصيات وواقعها الاجتماعي
والسياسي الذي تعيشه وتأثيرها على هذه سلوك
الشخصيات .. فهزيمة يونيو ١٩٦٧ أثرت في الإنسان
المصري وأصابته بالاحباط والضياع .. وكان تأثير ذلك
على شلة عباس ينعكس على أمانة الشغالة وأسرته ..
ولكن الكاتب لا يترك شخصياته هالمة في أزمته فتجده
يخرجها من أزمته عندما عرفت طريقها .. فأمانة تتزوج
ممن تحب وتضحى من أجله وهذا ما لم تقبله سعاد
« أمانة كانت صادقة مع نفسها .. أحبت صلاح فقامرت
من أجله .. أرهبتها تهديدات أهلها ، لكنها تبهرها
نقود .. المعلم رشاد .. كما بهرت سعاد .. عيب أمانة
أنها لم تدرس قانون البلاد كما درسه السيد شريف »

فأمانة مقهورة مثل حسن ولكنها لم تضح بحيها ولم
يفرغها المال .. ولكن خضعت لتهديد أهلها .. لتتزوج
المعلم رشاد الثرى .. أو مثل سعاد التي باعت حبها
لقاء دينارات حاتم .. فالمعلم رشاد وحاتم مثل السيد
شريف لصوص .. يشترون كل شيء بمالهم وجاههم ..
ويبرز الكاتب هذا بصورة حادة في نهاية القصة
بهذه الكلمات « في أعلى الجدار المقابل ما يشبه الشاشة
السينمائية ، تقف أمانة بثياب العرس البيضاء بجوارها
المعلم رشاد بمعطفه الأصفر يقتل شاربه وحولهما نسوة
يزغردن وشموع .. في الخلفية نساء متشحات بالسواد
يلطمن الخدود ، وشفتا أمانة تقتربان شيئا فشيئا ،
تنفجران لتقولاً لا : كنت تأخرت .. ولو ساعة » وصوت
المتشحات بالسواد يملا الجدار بعد اختفائها التدريجي
يتوسطن السيد شريف » .

فالكاتب ينتهاء القصة باسم « السيد شريف
وصورة السيد شريف الوصولي المستغل يريد أن ينيه
إلى أنه لا خير في أي إصلاح ما دام يوجد أمثال
السيد شريف الناهبين أموال الشعب .. وأمثال المعلم
رشاد .. وحاتم الذي يمثل طبقة جديدة ظهرت في
المجتمع .. هؤلاء الذين يعملون في البلاد العربية لقد
كونت هؤلاء طبقة جديدة لها قيمها وأخلاقياتها وهذه
الطبقة ولاشك أثرت في المجتمع وقيمه » .

فالكاتب في هاتين القصتين استخدم الوسائل
الغنية من التقابل بين الشخصيات فقد قابل بين سعاد
وامينة والسيد شريف والمعلم رشاد وحاتم .. وقابل
بين المواقف كما استخدم النقد الذاتي من خلال حديث
النفس للكشف عن ابعاد جديدة للأحداث تعمق الحدث
ويتمثل في موقف حسن وثقده لموقفه من امينة وحديثه
النفسى الذى يكشف عما يدور في نفسه .. كما نتبين
قدرة الكاتب اللغوية واسلوبه وبعده عن السرد والمباشرة
كما أنه استخدم الأمثال الشعبية في أسلوب عربي .

قراءة في مجموعة « الجنة »

تتحدد قيمة العمل الأدبي عندما يشكله الكاتب برؤيته الفكرية والوعي الجمال الى العمل الأدبي الثرى المؤثر في العقل والوجدان معا . يرتفع به من المستوى الحكائي البسيط الساذج الى العمل الأدبي المتضمن ابعادا مختلفة تزيد العمل الأدبي عمقا ..

والكاتب صلاح عبد السيد يتضح من أعماله ادراكه هذا المفهوم تماما فهو يلتقط من الواقع أحداث قصصه ويمالجها بأسلوبه الخاص ويضفي عليها رؤيته التي ترتفع بالحادثة البسيطة على العمل المشحون المؤثر .. ويتمثل ذلك في مجموعته القصصية « الجنة » فتشخصياتها من واقع الحياة .. لهم مشاكلهم الخاصة التي تحاصرهم وتضغط عليهم ولكنهم يصارعون للخروج من الحصار المضروب حولهم دون .. استسلام .. قد يتجهون .. وقد ينهزمون ويسقطون ولكن سقوطهم يعتبر صرخة احتجاج تدب في الظلم في جميع أشكاله ..

تدبر استغلال الانسان لأخيه الانسان في هذا العصر
المادى .

- * والكاتب يبحث عن القيم الخلقية التى افتقدناها فى هذا العصر مثل الوفاء والاخلاص .. يبحث عن لحظة الصفاء والنقاء التى تضيء الطريق أمام الانسان بكشف عن السبلات التى تنخر فى المجتمع وتاكل إنسانه .. يعالج القضايا الاجتماعية التى تشغل الانسان وتسحقه .. والكاتب يعالج كل هذا بأسلوبه المتميز المشتم بالحدة والعنف أحيانا . والسخرية أحيانا أخرى . ليحدث صدمة .. كهربائية توقف الانسان من سباته وتحرك تفكيره للبحث عن طريق الخلاص . ولذلك نجد شخصياته رغم انها مطبوعة وتواجه ظروفًا أقوى منها . الا انها شخصيات متحديّة كل ما يحيط بها ولو أدى بها الأمر الى تدمير نفسها أو تدمير ما حولها مثل « فتحى » فى قصة « الأرشيف » الذى يثور صديقه من أجله لما يعانيه من اضطهاد وقهر اجتماعى فيعبر عن ثورته وغضبه بحرق الأرشيف كصرخة احتجاج وينقل صديقه من القهر الذى يراه من خلاله قصير القامة حتى لا يقصر فتحى ولأجل أن تطول قامته .. وحتى لا تقصر قامته .. وقامات الآخرين وهذا حل عنيف مدمر يتفق مع أسلوب الكاتب الحاد الذى تلمسه فى معظم قصصه وهو حل يلجأ اليه الانسان عندما

يفقد الأمل في المستقبل يفتقد من يساعده للخروج من
أزمته .. لقد اختار الكاتب في هذه القصة شكلا مبالغاً
فيه . ولعل ذلك يرجع الى انه يريد أن يجعل من
« فتحي » رمزاً لمعنى كبير . يريد أن يخرج بالقصة
من مجرد المعنى المحدود الى المعنى الشامل .. ولهذا
نجد هذا التأكيد من جانب الكاتب على قصر قامه فتحي
« الولد قصير .. قصير .. قصير كأنه عقلة الصباغ ..
الولد قصير .. يقترب من الأرض كأنه يعرف قدر
نفسه .. الولد قصير .. كأنه نفاية مصنع البشرية .
العادم الذي تجميع على الماسورة المتآكلة الصدئة
« كحتوه » .. وادخلوه المعجزة ليخرج منه هذا الولد
القصير القمىء الأصلع . صاحب الصوت المخنوق كان
هناك إنساناً لا يراه . يحتل جولة . ويمد أصابعه
الطويلة . المسجوبة كأصابع المدراة من خلال قصبته
الهوائية ليضغط بها على زمارة رقبتة في قوة .. ويوزع
عليه أنفاسه المكدودة .

فالصورة هنا مبالغ في رسمها وكان يمكن الاستغناء
عن هذه الصورة المتكررة لتأكيد قومية الموظف المطحون
ولم يكتف صديق فتحي بحرق الأرشيف ولكنه يكمل
فعلته العنيفة بفعل عنيف أيضاً فتراه يبصق في وجه
المحقق معلقاً على هذا التصرف . ما لا يستطيع العقل
أن يحله .. فعلينا أن نجرب الجنون ، والجنون يلجأ

اليه الإنسان عندما يواجه أزمة حادة يعجز عن حلها والخروج منها .. فهو عالم بديل يهرب اليه الإنسان من الواقع المر الذي يعيشه وهذا ما فعله « وهدان »
 أيضا في قصة « اللعبة » عندما عجز عن تصحيح اسمه نتيجة لروتين الجامد القابل لقد أدى الروتين الجامد الى ان يفقد « وهدان » عقله لم يدرك نفسه الا وقد خلع ملابسه كلها فأصبح عاريا تماما كما ولدته أمه ..
 ثم طوح بجسده وينفزة واحدة في الهواء أصبح بعدها فوق مكتب المرأة الدميعة وصرخ . فانكفات المرأة تحت مكتبها تصرخ في هلع ..

ففى هاتين القصتين نجد أسلوب الكاتب يتسم بالحدة والعنف والسخرية في الوقت نفسه .. شخصياته ليست سلبية في مواجهة الضغوط القاهرة .. ضد الاحباط والضياع والتناقض الاجتماعى الذى شعر الانسان بأنه يعيش خارج مجتمعه .. يشعره بعدم التوافق ، عندئذ لا يجد الانسان بدا من أن يفعل مثلما فعل أبو السعد الفلاح الفقير في قصة « الرجل البيه » الذى تبول على بافلة سيد بيه الحنث مرشح الدائرة الذى لا يرقى الا مصالحه الشخصية .. ويوازى بين البول المتساق على الأرض ودواء المستشفى الذى القى به لعدم فائدته .. ويزداد الفنى غنى ويزداد الفقير فقرا ، فيأخذ أبو السعد البافلة وتكتشف في نهاية القصة أنه يلقيها على بطنه .

والكاتب في قصصه يحمل الإنسان مسئولية مواجهة الأحداث واتخاذ القرار الحاسم في المشكلة قبل أن تستفحل ويصعب حلها كما في قصة « الجثة » فقد حاول فلاحو القرية التخلص من الجثة الطافية في الماء حتى لا تنف عند أرض أى واحد منهم . فيقعوا في المسئولية والخفراء أيضا يحاولون التخلص من المسئولية .. ويرصد الكاتب التغير الأخلاقي الذي طرأ على القرية نتيجة التغير الاجتماعي كمحصلة طبيعية للمهاجرين الى بلاد البترول أو قدوم أخوة البترول وما يحملونه من مآل وإحلام فوزوجة حسونة تضعف أمام الغريب القادم من بلاد البترول وتزوجه ابنتها رغم اعتراض الأب الصامت .. ولكن ماذا يفعل وهو يرى امرأته وقد أغرتا الحقائق المنتفخة ونسيت نفسها وزوجها وابنتها .. واخذت بالرجل الغريب حتى انها قهرت انزعاجها حتى لا يراه عندما نظر اليها . فان مهمتها كانت هي ان تقهر انزعاجها وتمنعه من الظهور حتى ولو رعدة أو رجفة خفيفة قد تنبذ على وجهها . أو تمشي على شفتيها فأصبحت عن عمد وأصرار هي التي تعمل له القهوة السادة .. وتصب عليه الماء ليفسل يديه ويتوضأ وهي التي .. وهي التي ..

بهذه الكلمات يكشف الكاتب عن الانحلال الخلقي الذي أصاب القرية من خلال هذه الأسرة يكشف عن تغير القيم الخلقية عند الأم التي أحس الكاتب تصوير أعماقها

من الداخل وما يمتلئ فيها من طمع . ولكي يصنع الكاتب المجتمع ويدينه فتترك الأم زوجها وتساير مع القريب وينتحر حسونة الذي احتج في صمت الضعيف الذي سلبت ارادته . . ينتحر في الجامع شتقا دليل اذانة الناس واعلانا بضياح القيم الدينية التي أصبح الناس بدونها خواء لا قيمة لهم « عاريا تماما » كما ولدته أمه . . لا يستره شيء ، أي شيء ملقى في منتصف الجامع . وسوانه تتبدى للعيون . وحين اقتربوا منه فزعين . وجدوه ميتا . . وكانت يده مطبقة على ورقة صفراء قديمة . وحين فتحوها وجدوا فيها جلدة المصحف مكتوب عليها بخط شاحب قرآن كريم ومن الله تساقطت قطرات من الدماء ومقابل هذا التفسخ وضياح الوفاء والاخلاص نجد الكاتب في السدم يدين عالم البشر الفاقس للنقاء والاخلاص هذه الأشياء التي لا نجدها الا عند الكلاب . فنجد الكلب يحزن حزنا شديدا على مصرع صاحبه تحت عجلات السيارة . . وتمز عليه السيارات غير مبالية بالدم الذي يبلطخ الأرض ولا بالكلب الأبيض بجواره يدفع عنه السيارات بعوائه المستمر ويظل الكلب في مكانه حتى تنتهي حياته . . وفاء لما نجده عند الانسان في هذا العصر .

وفي قصة « خضر » يرمز الى انتماء الانسان الى وطنه ورجوعه الى نفسه بعد الضياح والتمزق في سنوات الهزيمة . . فخضر ظل يبحث . عن الانتماء والحماية . . يبحث عن الأب رغم قربه منه ولكنه لا يعرفه . وفي لحظة التضحية . . يتقدم خضر لانتقاذ القرية من قبالة سقطت

عليها بالقائما في التربة .. وفي هذه اللحظة يعترف
الخفير التابعي ببنوته ويتحقق الأمن والأمان بانتصاره
وانقاذ قريته والعشور على اييه .

في قصص المجموعة يمكن ان نستخلص مميزات
صلاح عبد السيد الفنية التي تعتبر ملمعا خاصا به تحدد
شخصيته وهي اهتمامه أولا ببناء الجملة من حيث التركيز
واختيار اللفظة الموحية مع اهتمامه بالانقاس الموسيقى
الذي يحرص عليه من خلال تكرار الكلمة أو الجملة
للحفاظ على الانقاس الموسيقى من ناحية وتأكيد المعنى من
ناحية أخرى وقد تأثر في ذلك بأسلوب القرآن الكريم في
تكرار اللفظ أو الجملة . كما يهتم الكاتب ببيان منطوق
الكلمات أي يهتم بالناحية الصوتية بتوضيح كيفية نطق
الكلمة لينقل للقارئ الاحساس الحقيقي الذي تحمله
الكلمة مثل « يا سلاام ، حائف ، يا بوووي » .

ان الأسلوب هو الرجل كما يقولون ، وهذه المجموعة
القصصية تحمل سمات صلاح عبد السيد وما يتصف به
من هدوء وروية ومنطقه للأحداث وإذا غصنا في أعماقه
نجدها تهمر الثورة والقلق وينعكس ذلك في التصرف
الحاد والعنيف في سلوك شخصياته .

وقصصه تتسم بالوضوح ولكنه الوضوح الذي يبين
عن قدرة الكاتب في معالجة القصة وتمكنه من أدواته

الفنية . كما أنها مشحونة بالفكر كما أنه يحرص ألا تكون قصصه مجرد تنفيس عن ثورة مكبوتة بعدها نشعر بالاسترخاء ، ولكن يحرص الكاتب أن يعطي دفعة مثيرة ومنشطة للفكر ودافعة للعمل للوصول إلى مستقبل أفضل .

قراءة في قصص أديب شاب « سعيد سالم »

سعيد سالم أديب شاب من الاسكندرية استطاع في فترة قصيرة ان يشد اليه الأنظار بما قدمه من إنتاج غزير في القصة القصيرة والرواية . انسم بالجودة والحرارة ودقة اختياره لموضوعاته التي تدور معظم أحداثها في الاسكندرية .. اننا نشم فيها نسمات للبحر ونسمع صخب أمواجه .. انها تحمل سمات البيئة السكندرية .. طبيعة أهلها وعاداتهم .. مشكلتهم وطريقة مواجهتهم لهذه المشكلات .. ولهذا يمكن القول ان الأديب القادر على صياغة حياة بيئته هو الذي يثرى الحياة الأدبية بما يقدمه من جديد وخروجه من دائرة الأديب الذي يعيش في القاهرة .. ولا ادري لماذا يضيق بعض الأدباء عندما نقول أدباء الإقليم .. لقد كان أوكوناور وفوكنر مثلا من الأدباء الذين يعيشون في جنوب أمريكا واستطاعوا ان يبدعوا أعمالا ممتازة وأثبتوا انفسهم في الحياة الأدبية الأمريكية بتميزهم بمعالجتهم لمشكلات الجنوب التي تختلف

عن مشكلات الشمال .. فلماذا لا يعنى أدباؤنا الذين يقيمون في الأقاليم هذه النماذج الأدبية العملاقة ويبحث كل منهم عن موضوعات من صميم بيئته تعطى أعماله لونا متميزا عن أديب المدينة .. لقد أحسن سعيد سالم بحاسة الفنان بما يمكن أن يقدمه للمتلقى ، لقد قدم نفسه بصدق وحرارة من خلال أعماله .. يقول : أنه يحب الاسكندرية ويحب مصر الوطن الكبير ولم يمنعه حبه أن يقدم الابجائيات والسلبيات .. أنه يعبر عن جيل عاصر حروبا ثلاثا مع إسرائيل .. جيل عاصر القلق والتمرد .. أنه يمثل البطل اللامنتهى الباحث عن الصدق وسط الزيف .. الباحث عن الأمان وسط الخوف .. ليس نفسه فقط ولكن لجيله الذي عانى العذاب والحرمان .. وأعمال سعيد سالم تعالج قضيتين أساسيتين الأولى .. القضية الاجتماعية والثانية .. القضية الإنسانية .

أما القضية الاجتماعية فتلح عليه الحاحا شديدا وتستحوذ على فكره .. فيعالجها في قصصه القصيرة ويتناولها بشكل حاد وعنيف في روايته « جلامبو » و « بوابة مورو » .

أما في قصصه القصيرة فنجد عبد المجيد افندى الموظف في قصة « قنابل لا تنفجر » يعاني من متاعب الحياة .. ومطالب البيت التي ينوء بها كاهله .. وهو إنسان يتقبل أموره بهدوء واستسلام مستسلما للمشاكل

التي تواجهه في العمل حتى لا يثير الزوابع ، يكفيه ما يعانيه من أجل التغلب على الحياة الصعبة التي يعيشها ولكي يكشف لنا الكاتب شخصية عبد المجيد أفندي وقف عند هذا الحوار بينه وبين سيد أفندي زميله في العمل والذي يقرر ألا يفاجيء عبد المجيد بالفتيلة التي أعدها له وهي التوقيع على عريضة ضد رئيسه .

— أبرضيك ما حدث من عباس أفندي اليوم يا عبد المجيد .

— ربنا يهديه ويسامحه .

— لكنه تعدى حدود الأدب واللباقة معك .

— وماذا كان بيدى أن أفعل يا سيد أفندي .

— كان ينبغي أن توبخه وتحذره من مواقف كبريائه وعجرفته .

— وإذا وقع على جزء .. ماذا يكون الحل .

— ما أسهل كتابة اللتماسات والتظلمات يا عبد المجيد .

— .. صمت .

— ثم ان كرامة الانسان فوق كل اعتبار .. هه

— آه

أفهر موظف مطحون تحت عجالات الغلاء وقهر رئيسه المتكبر وطلبات الأولاد .. انه يتهاون في حقه من أجل أن يعيش .. حتى لا يجازى وما أكثر هؤلاء الموظفين أمثال عبد المجيد الذين يرون الظلم ويقفون منه موقف المتفرج خوفاً من الجزاء .. انه يعيش حبيس الخوف من رئيسه الذي يملك الخصم من رزق أولاده .. وفي قصة « المقعد » نجد نموذجاً مختلفاً عن عبد المجيد فنرى سمير الموظف يقف في وجه الرئيس الظالم الذي يمتص دماء مرءوسيه .. ويسعد جداً عندما ينتقل عبد المنعم ويأتي رجل آخر ويسمى تيسير مصطفي ويستبشر خيراً بهذا الوافد الجديد الذي يصلى ويتصدق على العمال الفقراء ولكن ما لبث أن تغير جلد « تيسير » وأصبح مثل سابقه عبد المنعم وعندما بدأ يمارس ظلمه ضمه على « سمير » فاستولى على كرسيه الذي ينور . يريد الكاتب أن يقول أن البيروقراطية المتعنتة التي تسيطر على مقدرات الموظفين والانتاج لا فائدة من أي قوانين للإصلاح إذا لم يقض على أمثال عبد المنعم وتيسير ، لقد تذكر سمير كلمات شاهد عجوز « في هذا الزمن يابى لا يجوز أن تأمن لأحد » .

أن الكراسي حقيقة تفسد الإنسان .. لها بريق غريب يعشق نورها من يجلس عليها فلا يرى الحقيقة ، لقد تذكر كلمات الشاهد العجوز الذي صنع في حياته عشرات الكراسي وأصلح منها المئات ، لكنه كان يفضل صناعة

قطع الأثاث الأخرى على صناعة المقاعد لأنها على حد قوله
« تفسد أحيانا حياة من يجلس عليها وحياة كل من
يرتبطون بها » .

وكما استحوذ قطاع الموظفين على اهتمامه لابرار
همومهم وخوفهم ومشاكلهم .. ينتقل الى تصوير الصراع
الذى يعانيه بطل قصة « حارة اليهود » الذى يحاول
ان يقطع المسافة بينه وبين اولاد الدوات .. ولماذا لا يكون
واحدًا منهم .. يفعل مثلهم ويعيش حياتهم .. انه
افضل منهم بثقافته وعلمه ، لا يتميزون عنه الا بفائض
المال .. وفي حارة اليهود يحدثنا عن أهل الحارة
وحياتهم ، عن باقوت وعم جوجع .. دخل الملهى جلس
على مائدة قريبة من مجموعة شبان خنافس .. ها هم
اولاد الدوات الذين يريد أن يفعل مثلهم ويكفيه فخرا أنه
يعرف أكثر منهم من خلال قراءته الكثيرة أنهم لا يفهمون
معنى الأغنية التى يتغنى بها المغنى الزنجى .. وكانت
المفاجأة عندما سمع أحدهم خبر صديقه أنه بعد
للدكتوراه ويريد أن يشتري معملًا جديدًا بدلا من العمل
القديم ويفهمون أيضا كلمات الأغنية الأجنبية .. انسحب
في صمت عائدا الى حارة اليهود .. الى مكانه الحقيقى ..
أى أن الذى يملك المال يملك التفوق العلمى اذا احسن
استخدام المال ، في هذه القصة يصف أهل الحارة
وعلاقتهم ببعض فنشم رائحة الاسكندرية في هذه القصة

وفي روايته « جلامبو » « وبوابة مورو » اللتين سنتحدث
عنهما فيما بعد .

لقد أحس البطل الموظف في قصة « حارة اليهود »
لقد أحس بالاحباط عندما فقد نقطة التمييز التي كانت
تعطيه التمايز والتعويض النفسى عما يشعر به من فقر ..
إذا كان الأغنياء يملكون المال فهو يملك الثقافة وهذا
أفضل من المال ، هذا ما دار في نفسه وهو يقف على
عتبة الملهى « هه تشجع .. أقدم .. ماذا يمنع يا حضرة
الموظف المحترم أن تجلس مع هؤلاء الناس في هذا المكان ؟
لا يتميزون عنك سوى بفائضى من المال وما دمت تدرك
بثقافتك الواسعة لا تتردد .. ما ستأكله أو تشربه لن
تدفع ثمنًا له أكثر مما يدفعون أو أقل . حقيقة أن تلك
مغامرة وخيمة العاقبة فيما يختص بمشكلة أول الشهر
وآخره . لكنها مرة ولن تعود ثم يكفيك فخرا ثقتك في
أنك تعرف بالقطع من خلال قراراتك العديدة أكثر
مما يعرفون عن شئون الدنيا والآخرة » .

فبعد أن يصور الكاتب هذا الحوار بين البطل ونفسه
وتصوير التضحية بالمال مرة واحدة من أجل أن يكون
مثل أولاد الدوات إذا كانوا هم يملكون المال فالبطل
يملك العلم . وكانت المفاجأة عندما اقترب منهم وسمع
حديثهم وعرف أنهم مثقفون ثقافة عالية .. أحس

بالاحباط عندما ضاعت منه نقطة التمايز التي يشعر بها
بالفخر والثقة وهي الثقافة .

والقضية الاجتماعية وما فيها من فوارق طبقية
تشغل بال الكاتب نتيجة احساسه بالظلم ، لذلك فهو
يتناولها في قصصه من زوايا مختلفة . ونرى انه يسجل
في قصصه دائما الاحباط المستمر بالنسبة للطبقات
الفقيرة او المتوسطة وبخاصة الموظفين .

ورغم احساس الكاتب الحاد بالقضية الاجتماعية
فاننا نرى نظره الانسانية الرحبة التي تشمل الانسان
عامة على هذه الأرض . فكلنا بشر . فلماذا يمسأدى
الانسان اخاه . وكانت جرأة منه ان يتناول هذه النظرة
من خلال دفاعه عن الجندي اليهودي الشاب الذي وقع
أسيرا في حرب ١٩٦٧ . ما ذنبه وقد سيق الى الحرب
رغما عنه . ولذلك فبطل القصة يقف بجانب الجندي
الشاب، وبجانب الخواجه متانيا، وسليم الصايغ الموسيقي
اليهودي في ازمانهم ويعاونهم في حل مشاكلهم . . وهنا
نرى ان الكاتب لا يورنه الظلم الاجتماعي او الفوارق
الاجتماعية اية مراة ، ولكنه يدعو الى المحبة بين الناس
جميعا . . يجب ان يعيش الجميع في سلام .

وفي قصة « شرق وغرب » يصور تجربة شاب
مصري سافر الى اوربا مع فتاة زميلة له . . ومن خلال

الحوار الذى يدور بينه وبينها يكشف الكاتب عن الاختلاف بين العقليتين ، عقلية الشرق وعقلية الغرب .. فحديث الفتاة الغربية مع الشاب الشرقى بحرية عن الحب والأخلاق ونظرتها التحررية فى العلاقات بين الرجل والمرأة تشير الدهشة لأنها بالنسبة له سلوك غريب فيسألها .

— ماذا تحبين فى غير سمولى .

فتحيه :

— دهشتك الدائمة من مفهومى للحب والأخلاق

— اعتقد اننى محق فى دهشتى

— اسمح لى .. انا احق منك بالدهشة .. كل قيمكم الخلقية تنصب فى غشاء جلدى رقيق تافه .. لماذا ؟

— صديقتى الصغيرة .. انت لا تفهمين شيئا

— قد لا يعنى ذلك وانما أريد أن تفهم ماذا تسمى احتلال اليهود لجزء من اراضيكم .

— دخلنا فى السياسة .

— الدين المعاملة .. كل من هب ودب يضعها هناك امام مكتبه .

ويقرر الكاتب هنا أن سبب هزيمتنا فى ١٩٦٧ هو

.. اننا ابتعدنا عن الدين .. وجربنا وراء المساديات ..
 وبين ان ما نراه في الغرب من انهيار خلقي هو لا يتعدهم
 عن الدين . فهو هنا يناقش صديقه بجرأة وبين ان
 الشرق يختلف على الغرب في روحانيته . في العادات
 والتقاليد ، فالكاتب لا ينسى بلده وهو في الغربة ويقارن
 دائما بين اي تصرف من تصرفات صديقه الحرة الجريئة
 وبين تصرفات اهل بلده « لو تعلمين ان هذه القبلة
 الاسطورية هي الاولى في حياة شاب مضى من عمره
 تسعة وعشرون عاما .. ستدركين انني اعبدك .. اود
 لو اختفى بك تحت طبقات الأرض ، نمارس جنسا
 بلا انقطاع حتى الموت .. دون ان تكلف انفسنا عن البحث
 عن بهيل علينا التراب لنذوب مرة اخرى في طبقاتها
 السفلية .. اما ينبغي يا خليل ان تسرع في تدريب نفسك
 على التخلص من تلك السلسلة الفولاذية التي تشدك دائما
 من زيورخ لتجذبك في توان الى حسارة الرند حيث يتم
 كل شيء في الخفاء بعيدا عن أعين الرقباء ذوي الشوارب
 الطويلة واللاسات الحربية الملتفة حول الرأس والرقبة ؟
 فما يسمى هناك بالرديلة يتم هنا في العلن .. ايها
 افضل ؟ تشجع .

واذا كان الكاتب يبدو هنا انه يستمتع بالحريّة
 التي عاشها في الخارج الا انه يواجه صديقه بالحقيقة
 ويوضح الفرق بين الشرق والغرب ويعلن لها انهيار
 حضارتها التي بنى فيها السوس .. لابتعادها عن

الروحانية وقضية الفرق بين حضارة الشرق وحضارة الغرب .. تناولها من قبل توفيق الحكيم في عصفور من الشرق ويحيى حقي في « قنديل أم هاشم » الذي رأى أن تأخذ من الغرب العلم ولا ننسى الروحانية ، لا ننسى عاداتنا وتقاليدها ، وهذا ما جعل الطبيب القسام من الخارج يعترف بعد جهده المضني في سبيل اقناع أهل الحي بعمله المتقدم أن يوهم ابنة خالته بأنه يعالجها بزيت القنديل وتشفى المريضة .

إذا كان سعيد سالم في قصصه القصيرة قد عالج الجانب الاجتماعي والجانب الإنساني والفرق بين الشرق والغرب ، ودعوته إلى الحب والتعاؤل فأننا نجده في رواية « جلامبو » يعالج علاقة الفرد بالمجتمع وبين مأساة اللانتمى في مجتمعنا الذي يأخذ على الآخرين انتماءهم ولكن نهاية اللانتمى لم تكن أحسن من نهاية الآخرين المنتمين . فحمدي بطل الرواية اللانتمى خريج كلية الحقوق يفتح مكتباً يعمل فيه محامياً . ولا نعرف كيف استطاع والده صاحب متجر ما يوهات ثم صياد معدم أن يعمل هو وأخوه « حسن » الذي تخرج من كلية الطب .. يحاول حمدي في رحلته أن يبحث عن طريق للانتماء ليشعر بالراحة والأمان .

ولكن بعد أن سلك طريق الحب مع ليلي التي حددت موقفها معه بقولها « سعادتي لن أحصل عليها إلا بين

ذراعى تعس مثلى لا يستطيع ان يكسب اكثر من قوت يومه » ويحاول ان يسير في طريق اخيه حسن .. طريق النضال .. ولكنه قتل فيه ايضا ، فبحث عن طريق آخر مع الرئيس عبد العال تاجر المخدرات وانتقل بعد ذلك الى طريق النساء مع لولا ، والكاتب بعد ان يقدم لنا قلق حمدي وتقلبه في جميع الطرق للبحث عن الانتماء ليشعر بالأمان يجعله يبحث عن والده والوالد هنا في رواية بوابة مورو ينصحها بأن يتعلم ان يحمد الله .. الايمان هو الطريق السليم والملاذ الحيارى والضائعين .. لقد احس حمدي بأنه مرفوض من كل الناس الذين اتصل بهم فلم يجد الا الهجرة طريقا للهروب من كل ما يعاينيه . ولكنه رأى الكثير من المتاعب ويقول رايه أخيرا في الهجرة « حصلت على كل شيء ولم احصل على شيء » .

وأخيرا يبين لنا الكاتب ما وصلت اليه كل شخصية من شخصيات الرواية التي تعيش مع البطل يفاجئنا بالقبح على حمدي ، وإذا كان حمدي في السجن يقول « كلهم ينتجون الى أشياء فيما عداى » فان الكاتب يبين ان الانتماء لابد ان ينبع من داخل الانسان ولا يفسح في مناهات الحياة الا الانسان الذى يفتقد الى عنصر الايمان وهذا ما اكده في رواية « بوابة مورو » فان البطل عندما فقد الايمان وقع في جرائم السرقة لأنه افتقد البصيرة التى تنير له الطريق .

ان سعيد سالم استطاع ان يلفت الانتظار ويضع اسمه على خريطة العمل الأدبي وذلك بمحاوئته تكوين وجهة نظر فيما حوله من مشكلات اجتماعية كانت أو سياسية كما نلمس في أعماله الحارة والحيوية وهذا يرجع الى الشكل الفني الذي يختاره في القصة القصيرة والرواية فهو على أحد قول يوسف الشاروني عنه فيه دقة الشباب ونظراته المحتجة على كثير من الأوضاع التي لا يرضى عنها في مجتمعه وهي نظرة لا تنبع من كراهيته لمجتمعه ، بل تنبع من حبه لمصر وحبه لمصر لم يعمه عما فيها من سلبيات ، بل على العكس من ذلك دفعه لأن ينظر الى هذه السلبيات بعين مفتوحة كلها شفقة وتحذير ، وفي الوقت نفسه فإن حبه لمصر لم يبعده عن قننه ، فلم ينس أنه يقدم عملاً روائياً فلم يقع في براثن التقريرية والأسلوب المباشر والأساليب التقليدية .

- وفي روايته « بوابة مورو » يعالج القضية الاجتماعية وهي الفوارق الطبقة طبقة حسين بك الثرى صاحب المصنع وبين أحمد وخالد وأهل الحارة التي يقيمان فيها
 - تستعمل أحلام أحمد في تغيير واقعه المر وواقع أخيه ماجدة .. يقرر أحمد أن ينتقم من حسين بك وأذلاله وسرقة أمواله التي بالخارج والاستيلاء على ابنته أيضا .. أنه تنقيس عما تعانيه الطبقة الكادحة من طبقة الأثرياء ..
- ان الكاتب هنا يتناول القضية الاجتماعية بشكل حاد

انه يكره هذه الفوارق الاجتماعية ويرفضها ورفضها بالها
« اننى ازفئ راسماليئك الوطنية تلك . ولا اعترف
بما اشارت بدورها الموائيق » .

وتبدأ المشكلة عندما يتساءل أحمد من أسباب الفقر
الذى يعانيه هو وأهل الحي . . من أنا . . ما جدوى
ما أفعله . لماذا يحدث كل ذلك وما علاقتى بما يحدث . .
بل ما هو الداعى لوجودى أصلا وماذا أستفيد من الحياة
وماذا تستفيد الحياة منى ؟ هل أنجبنى ذلك النجار
التمس ليمنين كرامته وأدميته فى سبيل أن يعلمنى . .
لأجد نفسى فى النهاية معلقا فى الهواء لا أطول الأرض
ولا أطول السماء ؟ أقف على عتبة الانتقال بنفسى . .
بالسيد طلبة وعم على وغواصه وماجدة وممرارة وعرب
وبربرة والحاج حودة وامرأة الشحتوت وأم الشحات . .
بأجيالهم القادمة . . بعالم البوابة بأكمله الى موقع أفضل
انسانية وأعلى شرفا أن البطل هنا تأثر على واقعه ويريد
تغييره والا يقف موقفا سلبيا لكنه إيجابى فهو يفكر فى
وسيلة للخلاص من واقعه الذى كتب عليه يريد أن يغير
النعاسة التى يعيش فيها أهل البوابة وحواره مع صديقه
خالد المثالى يكشف عن تفكير أحمد الذى يؤمن بأن الثورة
تبرر أى شئ . . كل شئ مباح من أجل الوصول الى
الهدف . . فخالد يرى أن الضعف لا يأتى بشئ .

— عبث

— حيث ؟ ان ما اقدم عليه هو الصورة التنفيذية
لا تفكر الخبيثة التي ستموت قرنا دون ان تراها تخرج
الى النور .

— افكارى لا تعرف الخور والضعف .

— الثورة تبرر اى شيء .

— دعنى اقرر لك انك دائم الارتداد من افكارك
الى افكارك .

— ابدا . لقد نسيت الماضى . نسيت

— وما الفائدة اذن ؟

— احذرهم من الكسل .. ابصرهم بمعانى العدالة
والعمل

— وما يدريك انهم ليسوا بسعداء على حالتهم
الراهنة ؟

— سمعت احدهم يقول للآخر فى حديث عن المتأخرين
المقترحة : انت يمينى متطرف بالطبع :

— فلما سألته عما يعنى هذا اللفظ قال له شقة ؟
يعنى شيوعى طبعاً .

— انهم لا يفهمون شيئاً .

— ابتعد ، فبراكين الحقد حين تنفجر تدمر
الجميع .

فنحن هنا أمام عقليين متفكرين في المضمون ولكن
يختلفان في الوسيلة فخالد يكتفى بالكلام والتنظير
والقوانين وأحمد توري يؤمن بالعنف كوسيلة لتغيير
الواقع « من يعترض طريقى فأننى لا أترد في تدميره ثم
أواصل مسيرتى وكان شيئاً لم يحدث . إن أسهم في
تكرار تلك القصة السخيفة . الفقير . الغنى . عبادة
الأسنام . الانخلاع من الحذر . التحول السرطاني غير
المرئى . الموت في عداد الأحياء . الحياة في عداد الموتى .
الطمع في أسكات باطن الأرض نقيات الخير . احتمالات .
كنت وأصبحت يا أبناء البوابة وضواحيها من كل مهن ..
كفوا عن الموت واعملوا .. اعملوا » .

ويعمل أحمد في مصنع حسن بك بواسطة ابنته
التي تقع في حب أحمد .. ويشق فيه حسن بك ويرسله
الى الخارج ويعطيه رقم حسابه في بنوك الخارج
ويستولى أحمد على أمواله ويدبر حرق المصنع ولكنه
يتراجع عن فكرة احراق المصنع ويحاول أن يمنع اتباعه
من تنفيذ الفكرة ولكن بعد فوات الأوان .. أن أحمد
يرى أنه تعب من أحلام الملايين من الشعب الفقير الذي
ينهش لحمه الأغنياء وأصحاب الشعارات من أعضاء
الاتحاد الاشتراكي انه يعلن انه يفكر ويعمل من أجل أهل
البوابة « لست ملكاً لنفسى وإنما أنا ملك لكم جميعاً »
يرى انه ملك لماجدة وينصحها أن تعطى لخالد الحياة

وتحركه لفتنتها فهو يرى انه امتداد له .. واستمرار
لا غيره ولكن بصورة أفضل فيها التفكير فقد أوقعه إيمانه
بان الغاية تبرر الوسيلة في خطا السرقة وحرق المصنع ..
وهذا نتيجة إيمانه الأعمى بالعنف كوسيلة للتغيير الثوري
وهذا ما يعتبره البعض من حق البطل الثوري وله ان
يخطئ في طريق نضاله على حد قول سلمى حضراء
الجيش « البطل الثوري مثلاً ، قد يعاني الوانا من
الصراع وقد يرتكب أخطاء وقد يغير سلوكه ويتأمل
مسيره » لقد أحس ان الناس تبتعد عنه بعد ما عرفوا بان
الحكومة وجدت عنده ربع مليون جنيه .. ولكنه يؤكد
لهم انه واحد منهم وأنه بدونهم لا يساوى شيئاً .

لقد تذكر كلمة والده الذي مات والمصحف بجانبه
رمزاً للإيمان والنور .. يتنازل أحمد من ربع مليون جنيه
ويتذكر كلمات والده . « يجب ان تتعلم كيف تحمد الله »
ويقع أحمد في دائرة التفكير فيما حدث .. يعيد التفكير
في أفكاره وفي وسيلة تنفيذها . لقد وصل الى مرحلة
التوقف .. ليعيد التفكير في تصرفاته ومواقفه .. ليتبين
بعد مواصلة نضاله ضد الأغنياء وموقفه هذا ليس هروباً
ولكن إعادة تفكير في وسيلة أصبح « أنا لست هارباً وإنما
متوقف التفكير أما الى متى فهذا ما لا أعلمه الآن » لقد
أحس البطل بان تقاؤه الثوري شابته شائبة ارتكاب جرائم
السرقة والتفريز ، التفريز بابنة حسن بك وحرق
المصنع .

وعندما فقد لقاءه الثورى فقد وضوح الرؤية التى
تساعده على السير فى طريق نضاله ولذلك أحس بوجوب
التوقف واسترجاع ماضيه وبرزت صورة والده وتذكر
كلماته بأن الايمان الحقيقى المنبعث من داخل الانسان هو
الذى يهديه الى الطريق السليم .

واضح ان التناقضات الاجتماعية فى المجتمع تشغل
بالسعيد سالم وتستولى على تفكيره وهو وان كان قد تناولها
فى قصصه القصيرة فانها كانت ارهاصا بعمل روائى كامل
مثل « بوابة مورو » و « جلامبو » يضع فيه بالتفصيل
والتعميق صورة لأحلامه وأمانيه فى هدم القيم الاجتماعية
للمجتمع الراسمالى .

يمكن القول انه رغم أن أبطال قصصه القصيرة
يتسمون بالعقل والتانى والتفكير فى كل خطوة يخطونها فان
أبطال روايته « بوابة مورو » و « جلامبو » يتصفون بالقلق
والثورية الفوضوية التى لا تعتمد على التنظيم القائم على
التفكير المتأنى مما يجعلهم يفقدون فى النهاية كل شيء ففى
« جلامبو » لا يصل البطل الى شيء وفى « بوابة مورو »
يفقد أيضا كل شيء ويتوقف ليعيد التفكير فى حياته الماضية
والمستقبل دون أن يحدد فترة زمنية للعودة .

والكاتب فى كل ذلك يحب مصر كلما يقول يوسف
الشارونى غرس هذا الحب الحار فى أبطاله مما يبرر
تصرفاتهم المتسرعة .

أن أعمال سعيد سالم نستشقق فيها عبر
الاسكندرية في مبانيها وأهلها ويحررها وقد حرص الكاتب
على استخدام الألفاظ المتداولة بين شخصيات قصصه
والتي تحمل جو الاسكندرية ولهجات أهلها مثل « الطبق
يشلم » و « الجندقلي » . والبراطيم والكوانر والدناجل
وهي أنواع مختلفة من المراكب لكل منها استخدام خاص
والجرافسة وهي كما يقول شارحا : مركب صيد تلقى
بالشبكة في حيز بحري كبير تقوم مجموعة من الصيادين
على هيئة صفين متوازيين بسحب أطرافها عند الشاطئ.

لقد استطاع سعيد سالم الأديب الشاب أن يلفت
اليه الأنظار بما قدمه من أعمال تدل دلالة واضحة على
أنه موهبة إفتية ثرية ونيع متدفق العطاء تنتظر منه
الكثير .

عندما يصبح الريف بطلا لجموعة قصصية

إذا نظرنا في الساحة الأدبية نجدها زاخرة بأسماء قصاصين من الأدباء الشبان الذين يغلبون الحياة الأدبية بإنتاجهم . فيجددون شبابها ويشيرون فيها النشاط والحيوية .. وهؤلاء الشبان البتوا قدراتهم الفنية التي تبشر بمستقبل زاهر للقصة .

ومن هؤلاء الشبان القاص عبد العزيز الشناوى وهو يكتب القصة القصيرة بقدرة نابغة تدل على تمكنه من فن القصة .. بعيدا عن التأثير بالآخرين .. فإنتاجه يحمل سماته الفنية وتفرده .

والشناوى قاص له فكر ورؤية يوظف فنه لتوصيله إلى المتلقى دون أن يطفئ هذا الفكر على الناحية الفنية لأنه يفهم جيدا تلك المعادلة وهي الجمع بين الفن والفكر دون أن يطفئ كل منهما على الآخر وهذه المعادلة تقيب عن بعض أدبائنا عندما يتعرضون لقضية فكرية ، لقد

استطاع الشناوى أن يحفظ التوازن فى قصصه بين الفكر والفن .. فاستنقذ قصصه من الهتافية والمباشرة التى تضعف العمل فنيا واستنقذها أيضا من الجفاف الفكرى الذى يشعر القارىء بالملل .

وعندما ننظر فى نتاجه القصصى نجد أنه تناول العديد من الجوانب .

١ - الجانب الفكرى .

٢ - الجانب الاجتماعى .

٣ - الجانب الإنسانى .

والشناوى فى ذلك كله لا يوقف شخصياته موقف المتفرج على الأحداث ، فهو لا تعيش خارج الأحداث بل تعيش داخلها بقلبها وعقلها .

وشخصياته تصور الإنسان يقوته وضعفه ولذلك قد تزل وتسقط ولكن لأنها لم تفقد بعد القوام الأساسى الذى يشكل وجدانها وهو الدين فإنها ما تلبث أن تعود الى وعيها وتخلص من ضعفها ولذلك فهي شخصيات ايجابية تصطرع مع الحياة لتخرج من هذا الصراع اشد عودا وأكثر ايمانا وهذه الشخصيات تنبعث تصرفاتها من داخلها نتيجة لتكوينها الثقافى ونتيجة لعاداتها وتقاليدها الموروثة ، ونتيجة للوجدان الدينى الكامن فى اعماق كل

انسان يصحو في اوقات الازمات فينقذ الانسان ويصح
له ماره الحيائى .

ومما يميز اعمال الشناوى اختياره مادة قصصه
فهو يستمدّها من البيئة التى يعيش فيها .. فهو يقيم
في المنصورة ويخالط فراها ولذا نجد معظم احداث
قصصه تدور في القرى وتتناول عاداتها وتقاليدها ..
وهو لا يهتم فقط بتقديم القرية من حيث هى منازل
وحقول ولكنه يهتم بتقديم انسانها بعقله وقلبه .

واهم ما يلفت النظر انه دائما يرجع الى الفطرة
او العادات والتقاليد ليجد فيها الخلاص وهو لا يقع في
نطاق محلية الاحداث ولكنه ينطلق بها الى العام الذى
يهم الانسان عامة ويمثل هذا في جميع القضايا التى
عالجها سواء كانت فكرية او اجتماعية او انسانية وهنا
يتكشف ادراك الشناوى التام لوظيفة القصة ومن
تخاطبهم .

فاذا نظرنا الى القصص التى تعالج القضايا الفكرية
نجد انه اتخذ موقفا ايجابيا من الشيوعية فبين رأى
الانسان في القرية فيها وكيفية رفضه للأفكار الموحدة
المخرية لروح الانسان ، واختياره لانسان القرية بالذات
اختيار للانسان عامة لانه يمثل الجانب الفطرى في الانسان
الذى يرفض الأشياء وفقا لعادات وتقاليد ومكونات دينية

واجتماعية لعبت دورا كبيرا في تشكيله فهو يقول من خلال شخصياته : أن الانسان على أرضنا انسان له دين يقف حصنا مانعا لحمايته من السقوط فهو الملجأ الوحيد الذي يلجأ اليه الانسان عندما ينفو من سيئات الانحلال الخلقي أو الفكرى .

ففى قصة « الزير » يطارد اهل القرية بطلها لانه شرب من الزير الأحمر ويحاول أن يبين لهم انه شرب دون قصد .. دون أن يعرف صاحبه .. ولكن تحاصره العيون باللوم .. الشيخ زيدان يطرده من العمل .. حاول أن يثبت حسن نيته ولكن دون جدوى . قالوا له .. أتريد أن تكون مثل سعداوى الذى لبس الكوفية والجلباب والحذاء وخسر نفسه واهله .. هرب من زوجة ابيه التى تنتظره بالعصا .. ظل يجرى ويجرى .. دوى اذان الظهر .. ملأ سماء القرية .. وجد نفسه فى الوسعاية امام المسجد .. أسرع نحو الباب المفتوح .

فالقصة رمزية تتناول الشيوعية وتبين انه لا مكان لها فى مصر لأننا شعب متدين يرفض الاحساد ولهذا فيقبل القصة فى النهاية يرفض أن يستسلم للأفكار الملحدة ، وهذا اعتقاد راسخ وأصيل انحدر اليه من والده .. الذى أخذ على نفسه أن يسحق كل ثعبان أو بيض ثعبان حتى لا يخرج منه ثعابين أخرى .. اذا عثر على بيضة ثعبان يسحقها بحجر اذا تركها سيخرج منها ثعابين ..

ترحف .. تملأ الحقول .. تتسلل الى القرية .. تبعث
سمومها في الطعام وتلدغ الاطفال .

وفي قصة « الضفادع » يناقش ايضا قضية الافكار
الملحدة ، فالضفادع تملأ الفضاء بنقيقتها الصاحب المطلق
الذي يغطي على صوت شيخ الجامع في الخطبة .. ولكن
هذا النقيض ما هو الا اصوات جوفاء سرعان ما قضى عليها
وعلا صوت شيخ الجامع فوق هذه الضوضاء الكاذبة .

ان الشناوي في هاتين القصتين تناول قضية فكرية
تهم كل انسان وتنقل جزءا من تفكيره وبذلك استطاع
أن يخرج من نطاق بيئته الى نطاق ارحب وأوسع
مما يعطيها صفة الاستمرارية لخروجها من دائرة المناسبات
الضيقة .. لقد اثبت انه لا مكان للأفكار الملحدة على هذه
الأرض الخضراء المروية بماء الدين .

وإذا انتقلنا الى الجانب الانساني في قصصه نجده
يتناول هذا الجانب على ثلاثة مستويات .. الأول ..
علاقة الفرد بأسرته ، والثاني .. علاقته بالقرية ..
والثالث .. علاقته بنفسه .

فعمد القوى في « الطيور المهاجرة » عامل الترجيلة
الذي يهد جسمه المرض ولكنه مضطر الى العمل ليوفر
لقمة العيش لأولاده .. ورغم قسوة الخولى عليه وطرده

من العمل .. وفشله في الحصول على النقود ليحقق مطالب أولاده .. رغم هذه الظروف القاسية .. يرفض أن يأكل لقمة العيش من حرام .. فيعيد ساعة الخولى التي سرقها في لحظة ضعف .. ويصحو ضميره .. تستيقظ في نفسه كل ما تعلمه من والده ومن أمه من قيم خلقية ترفض أن يأكل لقمة العيش من حرام .. وهذا التصرف الإيجابي نتيجة كما قلنا لقيمه الدينية التي تعيش في وجدانه والقيم الخلقية التي تعلمها .. وهذا ما عدل سلوكه .. وحوله من إنسان لص إلى إنسان نظيف . لقد تذكر كلمة محمود أفندي ابن العمدة - نظل تعمل طوال النهار تحت الشمس وتأخذ عشرة قروش ؟ أجر تافه .. لكنه يرضينى .. المهم أن تكون لقمة العيش حلال .

لقد استخدم الكاتب المؤثرات الخارجية لتوقظ ضميره .. وتنقذه من الهوة السحيقة التي سقط فيها .. فلم يكتف بمحاصرته بكلمات عبد القوي .. ولكن يحاصره بمؤثر آخر وهو العامل الدينى .. يتفجر في نفسه الصراع بين الحلال والحرام .. « ترمى إلى سمعه صوت المؤذن يؤذن لصلاة العصر .. افتحمت بصره مشدنة الجامع بضخامتها .. تفجر في صدره ينبوع الرهبة .. كيف فعلت ذلك على آخر الزمن ؟ صحيح اننى مريض وصاحب طورة اولاد .. لكن الحياة تسيير طول عمرى رجل شريف .. كيف تمتد يدى على حاجة لغيرى » .

نجح الكاتب في تفجير الصراع داخل عبد القوي بهذين المؤثرين الصراع بين الخير والشر بين قيمة الدينية والأخلاقية التي تربي عليها وبين الشر الذي يأكل كل شيء في لحظة ضعف .. صراع بين السقوط وبين الصعود الى قمة الشرف والمحافظة على سمعته وسمعة اولاده .
والعامل الديني يذهب دورا كبيرا في أعمال عبد العزيز الشناوي ، فشخصياته وان كانت تتعرض للسقوط سواء بقصد أو بغير قصد فإله سبحانه وتعالى يقول « ونفس وما سواها .. فآلهما فجورها وتقواها قد افلح من زكاهما وقد خاب من دساها » .

ويقول تعالى .. « وهديناه النجدين » . والله سبحانه وتعالى يفجر في الإنسان عنصر الإرادة ليوصل بنفسه الى الطريق المستقيم دون مساعدة .

والشناوي متدين استطاع ان يستغل هذا التصوير القرآني للإنسان استغلالا فنيا في إبراز صراع الإنسان عندما يقع بين اختيارين ، ولأن شخصياته كما قلت مؤمنة فإنها سرعان ما تعود الى طبيعتها السوية .. عندما يفتح قلبها ويبتعد الى طريق الدين .. طريق الخلاص .. فإنها سرعان ما تجد الخلاص وراحة البال .. ويتمثل هذا في قصة الطيور المهاجرة .. التي عرضناها وقصة « الزير » و « الضفادع » ففي هذه القصص نجد شخصياتها تعود الى الطريق الصحيح والأمان النفسي

عندما تلجأ الى الجامع . واذا كان عبد القوى يمثل صورة صراع الانسان مع نفسه بين الخير والشر فان بطل قصة « السمك يعيش على الأرض » تمثل علاقة الانسان بأسرته .. فهي تدور حول اخين احدهما فقير والاخر غنى .. وكل منهما يعيش بمفرده .. ونرى الأخ الغنى يسعى معاملة أخيه رغم خدمته له .. فلا يساعده ماديا ليخفف عنه قسوة الحياة .. لقد نسي أيام كان في الجامعة .. كنت أسافر الى القاهرة .. أحضر نفسي بين الكتل البشرية .. أجلس تحت الأقدام .. أحمل اليه سبتا به الخبز المرحرح والأرز المعبر و .. وعندما يعود الى القرية اسرع الى المحطة أحمل على كتفى حقيبته التي لا يستطيع حمار العمدة حملها » .

ورغم هذه القسوة والجحود من جانب الأخ الغنى الذي تبلغ به القسوة ان يحاول حرمان أخيه من إيجار مكتب البريد ليفوز هو بالإيجار .. رغم هذا كله ، فعندما يتعرض الأخ الغنى لاعتداء من زهران وأولاده نجد أخاه يسارع بالوقوف الى جانبه ليدافع عنه ، بفعل هذا دون تكلف ولكن بتصرف طبيعي يتفق وعادات القرية وتقاليدها الموروثة .. وهو أن الرابطة الأسرية قوية لا تنفصم ولا تلوب مع الأيام .. والدم لا يكون ماء كما يقولون .

وفي قصة « غيطناني » يعالج علاقة الانسان بمجتمعه .. بالقرية .. فغيطناني يرفض من العمدة

خمسـة جنـيـهـات رشـوة دغـم حـاجـته الشـديـدة لـها ، لآـته
يآبـى أن يشـهـد زورآ ضـد أهـل القرية لصـالـح العـمـدة ..
ظل في صراع مع نفسه حتى وصل أمام المأمور وكان قد
وصل إلى قرار حاسم وهو ألا يدلي بشهادة لصالح
العمدة ضد أهل القرية ويلقى بالجنهات الخمسة أمام
المأمور .. لقد فكر غيطاني كثيرا في « سمعته .. في أهل
القرية الذين سيأكلون وجهه .. يشهد زورا .. سار هو
والعمدة ووصلا إلى المأمور .. يطلب العمدة من غيطاني
أن يقول الحق .. لا يطبق غيطاني أن يشهد زورا ..
وقف أمام المأمور .. التى بالخمسـة جنـيـهـات » .

وفى قصة « اغنية قبل الموت » يعالج الخوف الذى
يسيطر على الانسان .. ويجعله يعيش في وهم ويظل أسير
هذا الوهم حتى يشرف على الهلاك ولا يستنقذه منه أحد
إلا المواجهة للأمر الواقع ليعرف الحقيقة ويحطم حاجز
الخوف الذى يرهبه ويشلله .. ويهدده بالضياـع ..
فيصور أن القرية تعيش في رعب من ضبع يهدد أمنها
ويقطع الطريق على العائدين من حقولهم .. استولى
الخوف على أهل القرية .. ووقفت الحياة فيها ..
أغلقت الناس أبواب بيوتهم .. الأولاد لا يلعبون في
الشارع .. كل امرأة خافت على زوجها .. « صرنا
نلتحف الخوف والظلام .. كيف يتسنى لقرينتنا التى عاشت
سعيدة كريمة آلاف السنين أن يعيش عابثا هذا
الكابوس » .. توقفت الحياة تماما .

الظروف تحاصر بطل القصة .. ليس من المعقول
أن تخلو القرية من الرجال .. ماذا يفعل .. اخذ يفكر ..
لايد من وسيلة للخلاص .. لتنتم بالحياة بدلا من الموت
« خلعت الدار من الماء .. الدقيق .. الجاز .. الملح
و .. لقد زهقت .. من الحبس بين الجدران .. ماذا
اقول لابنائى خلعت الدار من الماء والخبز .. لا أستطيع
أن انظر الى وجوههم .. أصبحت أخشاهم جميعا ..
عيونهم الضيقة تخترق صدرى تقرا على ضلوعى اخوف
الخوف .. بما ارد عليهم ؟ عيونهم تطرح الف سؤال فى كل
نظرة قلقة .. فى كل رعشة جفن تسال عن الكارثة ..
تساؤلات تكبر فى أحداق اولادى .. تنتظر الاجابة ..
الأيام تمر جافة رهيبة .. اذا انطلقت ضحكة تكون
مكتومة .. ذبيحة .. تشنجات مريض بالصرع » .

لقد نسج الكاتب حول البطل الأسباب التى تجعل
الصراع يحتدم فى نفسه ليصل هذا الصراع الى نهايته
فيدفعه الى عمل شئ للخلاص .. لقد وضع الكاتب البطل
بين اختيارين .. أما أن يموت اولاده من الجوع ، وأما أن
يواجه الضيع مهما كانت النتيجة .. المهم انقاذ الأولاد ..
وماذا فعل بعد التفكير الطويل .. لم يطلق الانتظار ..
ضاق صدره .. لايد أن يحقق لأولاده ما يريدون ..
امتدت يده الى العصا « سبقتة العصا من وجه الباب ..
أطل الفجر بوجهه من وراء السحب .. برزت فى ذمته

صورة الشيخ صابر بجلبابه الأبيض وهو يحث القرية على
النهوض للصلاة والذهاب الى حقولهم .. شدد قبضته
على العصا .. اخذ يدق الأبواب والشبابيك ، لمح رجلا
في نهاية الشارع يدق الأبواب بقيضته .. رفرف قلبه
بين ضلوعه .. أصبحنا على موعد .. مللنا الانتظار
والجلوس داخل الجدران .. قرنا مواجهة الضبع بدلا
من ان نكون في مصيدة « .

تحركت القرية .. خرجوا جميعا للبحث عن
الضبع .. ويجدوه نالما بين اعواء الحلفا .. ويطلق شيخ
الخفراء مقدوفا .. لم يتحرك الضبع .. ولم يسمعوا
له صوتا .

ويفاجئنا الكاتب بالحقيقة المرة .. بان الضبع كان
من البلاستيك .. لقد وضعنا وجهها لوجه امام انفسنا ..
مواجهة ساخرة قاسية .. ولكن لابد منها لتحديد مواقفنا
ولا تقع فريسة للوهم .. فلا علاج الا بنزع الخوف من
صدورنا لنتمكن من تخطي الوهم القاتل .

واذا كان الشناوي في القصص السابقة قد قدم
نماذج مختلفة من القرية يتمثل فيها الطيبة والتضحية
وأخرى منافقة ومخادعة .. فانه يقدم في « البهلوان »
مثالا للانسان الساذج .. الريفي الذي يفرق في بحر
المدينة الصاخب مثل عليوة .. الذي فقد أربعين جنيها

من التسعين جنيها التي ادخرها ليشتري بها بقرة .. ولكن يقع في حيائل المحتالين .. ويعضه الندم ويحاول ان يسترجع نقوده دون فائدة .

ويعين الكاتب في رسم الشخصية الساذجة بأن نجد عليوة يسلم امره لشاب وعده بأنه سيعيد له نقوده .. فيحدث نفسه بأن سيبدى محمد العدنى قد يكون قد ارسله لينقذه ويعيد المبلغ المسروق « كثيرا ما حدثتني امس عن سره الباسع .. لكن هل ستلحق بالبهلوان وستسترد نقودي » .

ان الكاتب بهذه الكلمات يسخر سخيرة مريرة من هذه الساذجة والطيبة التي تضر صاحبها لم يتعلم من المرة الاولى .. فيسلم نفسه في المرة الثانية الى شارب مجهول لا يعرفه .. ويوعده بأنه سيسترد نقوده .

من هذه القصص يمكن القول بأن عبد العزيز الشناوي يوقف ابطاله كما قلنا في موقف الاختيار وينسج بعد ذلك الصراع الذي تعانیه الشخصيات ولكي تقدر وتشعر مدى أهمية القرار الذي يتخذه ويحرص على تقديم الجو المصام للقصيدة والظروف المحيطة بكل شخصية وشخصياته محددة .. الملامح نفسيا واجتماعيا وخلقيا وفكريا وهي ليست منقطعة الصلة بواقعها وبيئتها ولكنها متصلة اتصالا وثيقا بواقعها وبيئتها وتعمل لها الف

حساب في كل تصرفاتها .. وحرصا منه على تقديم الجو
العام للقصة فانه يستخدم الألفاظ الريفية الدارجة التي
لا تستخدم الا في الريف .. فنجد « الوسعاية وجسر
الجنابية ونبات عليق .. شتلات الطماطم قصة الزير ،
الطاجين ، والوط الأرض والبشت اكفى على الخبر
ماجور (قصة البهلوان) الخبز المرحرح والأرز المعمر ،
الزريع (قصة السمك يعيش على الأرض) » .

والشناوى حريص على توصيل أفكاره الى المتلقى
ولذلك ابتعد عن الوقوع في الأشكال الفنية الفاضلة التي
تفسد العمل الفني وابتعد أيضا عن استخدام الألفاظ
والتركيب المعقدة الفاضلة التي تقف حاجزا بين المتلقى
وبين فهم القصة .

ان القصة القصيرة كالقصيد .. ولذا لجأ
الشناوى الى التركيز والتكليف والبعد عن الاستطراد
ولذا نجد أسلوبه كثيرا ما يصل الى اللفة الشعرية
بما يحويه من الفاظ رقيقة ويرجع هذا الى وضوح الرؤية
لأنه أدب مؤمن بالكلمة ورسالتها ولذلك فهو لا يتسرع
في كتابة قصصه ولكن يتأنى في كتابتها وبظل يراجعها حتى
يرضى عنها تماما .

ان الشناوى يضع يده دائما على نبض مجتمعه ..
يعايش أحداثه وهذا من قيمة الكتاب الحقيقيين المخلصين .

1
2
3

4

5

6

7

8

9

10

11
12
13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

41

42

43

44

45

46

47

48

49

50

51

52

53

54

55

56

57

58

59

60

61

62

63

64

65

66

67

68

69

70

71

72

73

74

75

76

77

78

79

80

81

82

83

84

85

86

87

88

89

90

91

92

ثلاث دراسات عن السبامى

« يا أمة ضحككت »

رواية كل النصور

رسالة الفن هي الاهتمام بالإنسان لما يتميز به من قدرة على بناء الحضارة لكونه الكائن الوحيد القادر على تغيير واقعته وتطويره ، القادر على الفعل وهذا ما يميزه عن الحيوانات على حد تعبير الأديب الفرنسى أندريه مارلو الذى يرى « ان الفن فى القرن العشرين بحث الإنسان على التمرد على الأوضاع وتدمير المعتقدات الزائفة والتقاليد الخائفة يدعو الى التعبير الصادق لما يعرفه من قلق وغضب وتوتر من موقفه المهدد بالحرب والدمار » (عوالم الفكر - المجلد ٨ - ٣٤ - ١٩٧٧)

وليس معنى هذا الاهتمام ان يعيى الفن له المنفعة الفنية وانارة الفرائز الرخيصة ولكن عليه ان يأخذ بيد الانسان ويثير له الطريق ويسلحه بالافكار الصالحة البناء لتساعد على تغيير المجتمع وتحقق هذا بتصوير الواقع ، وما فيه من مشاكل ولا يتأتى هذا الا بالمعالجة

الفنية الأصيلة كقول أرنست فيشر في كتابه « ضرورة الفن » أن الذي يحدد ندرة الفنان وعظمته ومدى نجاحه في التعبير عن مجتمعه وإبراز مميزاته الانسانية ، وهذه العظمة وهذه القدرة الفنية الفائقة يتمتع بها يوسف السباعي لما له من حس مرهف ورؤية شغافة وقدرة على التعبير الفني الصادق ، لقد عاش يوسف السباعي داخل مجتمعه ولمس مشاكله عن قرب ، ووقف على أسباب تأخره ، لذلك وظف فنه في خدمة هذا المجتمع الذي تكاثف عليه الجهل والفقر والمرض فأصبحنا أمة يضحك من جهلها الأمم .. لم يتوان عن تبليغ الأدواء التي تنهش في جسد المجتمع لاستشارة ارادة التغيير في الإنسان وتلمس هذا في مجموعة « يا أمة ضحكت » فقد صور فيها الأمراض التي تسببت في تأخر هذه الأمة العظيمة .. صور هذا كله من خلال تماذج واقعية التقطها بحاسته الفنية ووضعها تحت المجهر لتبدو أمامنا واضحة مستخدما أسلوبه الساخر الذي تميز به .. هذه المجموعة صور السباعي الجهل والوصولية ، والنفاق والخداع مبرزاً فساد الحكم والأوضاع الاجتماعية السيئة التي انحدرت اليها الأمة نتيجة استئثار الفساد واهتمام كل من يصل الى كرسى الحكم بتحقيق اطماعه ضارباً بمصلحة الشعب عرض الحائط .. وهذه السليبيات صورها أيضا في رواية « أرض النفاق » التي تعتبر مشروعا للثورة على حد تعبير الدكتور عبد العزيز

الدمسوقي .. دعوة الى العمل الثورى للخلاص من
الفساد .. دعوة الى اصلاح المجتمع للتهوض به والقضاء
على الثالث المزمع الجهل والفقر والمرش .. لقد كانت
اعمال يوسف السباعى رائدة تقود المجتمع على الطريق
السليم بما يملكه من رؤية شفاقة تستشرف المستقبل ..
كان يوسف السباعى متفائلا نتيجة ايمانه بالانسان
المصرى وقدرته على تخطى ظروفه الصعبة وتغيير هذه
الظروف ، وهذا الايمان لم يتكون الا لدراسته لتاريخ امته
ومعرفته التامة بحضارتها وهذا ما لم يستطع بعض
الكثاب ان يدركوه تماما فراحوا مثلا يبتئون النشأوم
والتخاذل عندما هزمنا في ١٩٦٧ وقد اثبت انتصارنا
في اكتوبر ١٩٧٣ قصصهم نظرتهم وجهلهم او تجاهلهم
المغرض للاحداث المضيفة في تاريخنا .

في مجموعة « يا امة ضحكت » هذه قلنا ان
يوسف السباعى صور ما يعاناه المجتمع من تحلل وفساد،
ففى قصة « يا امة ضحكت » بين انواع الجهل ، فهناك
الجهل البسيط والجهل المركب ومتنبى الجهل ويمثل
النوع الأخير فى الحكام « هل تعلم ان اقدر الناس فى
هذا العالم واعظمهم شأنًا أولئك الذين يترأسون الدول
ويتحكمون فى مصائر البشر هم أشد الناس جهلا
بحقائق الأمور .. وهل هناك أكثر جهلا من أولئك الذين
يلقون بانفسهم وبلادهم الى التهلكة بزعمهم انهم يقودونها

الى سلام دائم وعالم افضل ، كشف صريح لجهل الحكام في فهمهم لمشاكل المجتمع وجهل ايضا في وسائل علاجها - انهم مثلا لا يريدون ان يتنازلوا عن بعض ما يملكونه من اجل تحقيق العدالة بين الناس » انها دعوة الى المساواة ومشاركة الفنى والفقر ، وهذا حققته ثورتنا ونصت عليه في مبادئها الستة وهو تحقيق العدالة الاجتماعية .. ان هؤلاء الحكام يقول عنهم يوسف السباعي انهم يجاهدون بطريقتهم التي لا تؤدي الى شيء مثلما يجاهد الشيخ احمد (نابغة الميضة) القابض على سيفه دائما يجاهد به بالطريقة التي تحلو له « وماذا يضره في ذلك وطريقته في الجهاد لا تكاد تختلف كثيرا عن سواه في هذا البلد . وهو في نطاق مداركه يعتقد انه يجاهد ، وهم في نطاق مداركهم يعتقدون انهم يجاهدون والبلد لا يكاد يستفيد منه الا بقدر ما يستفيد منهم « بالطبع لن يتحقق شيء على يد امثال هؤلاء ومنهم واحد مثل ابراهيم العقب (قصة نابغة الميضة) تاجر اعقاب المجائى وزعيم لى السبارس ، ثم تاجر بعد ذلك في الزبالة وبقايا اطعمة الجيش الانجليزى ثم يصبح بعد ذلك نائبا في مجلس النواب هنا يتساءل يوسف السباعي ويجعلنا نتساءل معه ونفكر هل مثل هذا الرجل يستفيد منه البلد ؟ انها ليست دعوة للتفكير فقط ولكنها دعوة الى العمل لتغيير

أمثال هذه الظواهر الفاسدة حتى لا تكون أمة يضحك من
جهلها الأمم .

في قصة « ميمون الجبل » يتناول هذا الفساد
عن طريق حوار مع قرد وصاحبه . فالقرد « ميمون »
يثور على وضعه وعلى صاحبه ويطالبه بالبحث عن طريقة
أخرى لكسب العيش وزيادة الدخل بدلا من هذه الطريقة
المملة .. لقد أحس القرد بالضيق والملل من حياته
المكررة .. ضاق بسلام الأسياذ تصوروا القرد يشعر
بسوء حالته فيثور والإنسان في هذا البلد لا ينسر
بما وصل اليه من سوء فمعنى يثور ليغير واقعه الأليم ..
يسأل عيسى قرده عما يقلقه فيجيبه « أنا لا أعرف ،
أنا أريد ثورة على هذه التقاليد البالية ، والأوضاع
القديمة ، كل شيء سائر في طريق التطور والتقدم
الا نحن » .. يشرح عيسى لقرده صورا مختلفة في
المجتمع لم يحدث فيها أي تغيير ليس فقط بعد أربع
سنوات مدة عمله معه ولكن مضت عليها عشرات السنين
فالفلاح مثلا التي يقلدها في العجين لا تجد غير ذلك
العجين ، .. والفلاح قضى مئات السنين لا يشرب سوى
الماء العكر المخاوط بكل ما في جعبة عزرائيل من أمراض
وجراثيم والفلاح قضى مئات السنين يزرع الأرض لتخرج
ثمرا شهيا ولا يستمتع به الا السادة الذين لا يبدلون
له الا الوعود ويقولون له « أصبح وانتظر نحن جادون

من أجل رفاهيتك ، الا ترى اللجان التي نعقدتها ..
والجهد الذي نبذله كل هذه المصائب على رأس الفلاح
وهو صابر لم يعترض وانت يا ميمون لك اربع سنوات
تضيق ذرعا بحياتك وتعلن لورتك » .

ويستمر عيسى في مخاطبة قرده « لقد شقت ذرعا
يا ميمون لانه مضي اربعة اعوام وانت تفعل سلام
اسيادك ، فما بالك باسيادك انفسهم الذين مضى عليهم
ستون عاما وهم لا يفعلون سوى سلام اسيادهم ما بالك
بالاسياد الذين يتولون امورنا ويتبادلون علينا الواحد
بعد الآخر فلا يفعل كل منهم سوى سلام اسياده ، فلا بد
لكل منهم اسياد يؤدي لهم التحية ويأتمر بأمرهم ، ويتلقى
منهم الوحي والالهام ، ما بالك بالخطب التي يتلونونها منذ
عشرين عاما كالببغاوات .. يكرر كل منهم ما قاله سلفه
حتى والله ليخيل الي ان كلامهم يتلو ما كتب دون ان يفهم
له معنى ، فهو يتلوه لمجرد التلاوة ، اذ يعتبر ان واجبه
قد انتهى عند حد التلاوة ولا اكثر من هذا » .

لقد هاجم السباعي فساد الحكم قبل ثورة ١٩٥٢
بصراحة ووضوح ليستشر في الشعب التفكير في اوضاعه
السيئة ولا يقف عند مرحلة التفكير فقط ولكن عليه
ان ينتقل الى مرحلة الفعل ليحدث التغير المنشود
للتخلص من الفساد . لجأ السباعي الى الأسلوب
الصريح ليحدث الصدمة الكهربائية ليقبض الشعب من

نومه وثبت أنه ليس شعب سلام أسياذك . و « نوم
السكران » بلد لا رأى له مما دفع بطل قصة « بصقة
على دنياكم » الى رفض هذه الدنيا ، المليئة بالنفاق
والفساد ولولا هذا الفساد ما وصل الى منصب رئيس
الوزراء بعد ان كان ضابطا صغيرا ثم رجلا من رجال
الفكر المفاقيين ، يسخر قلمه لمنفعته الشخصية متناسيا
الشعب ، لقد أصبح بائع كلمات يكتب على قدر
ما يدفعون له .. انه يبيع كلمات تضع بعد لحظات مع
الريح .. لا فائدة منها لأن « هذا البلد لا تجدى فيه
الكلمات نفعا .. انما تجدى فيه العصى والسيات » .

لقد تحول صاحب القلم الى بلطجي « هذا الحزب
يستخدمنى لكى أسب ذلك ، وهذا الزعيم يستاجرنى
لكى أعدم ذلك ، وأنا بين هذا وذاك مسلول القلم مرهف
الذهن اكتب واكتب ، والنقود تندفق من حولى . لقد
كنت تاجرا رأبجا أعطى قدر ما آخذ .. هذا يريد
منى مقالا بعشرة جنيهات وذلك يريد بعشرين .. اتى
اكتب واكتب .. لا مبدأ .. ولا غرض الا المال ..
وكيف أستطيع أن أكون غير هذا فى بلد كهذا .. بلد
فسدت فيه النفوس ، وصدئت الأذهان ، وعميت
الأبصار » .

فى السطور القليلة السابقة يبين السبامى قدسية
الكلمة ، وقيمة الرسالة التى يحملها على كتفيه صاحب

- القلم .. يكشف من هؤلاء الكتاب المؤجرين أصحاب
الدمم الخربة الذين يتحول القلم في يدهم الى وسيلة
للكسب وليس وسيلة للدفاع عن المظلومين من أبناء
الشعب . ويواصل السباعي رحلته مع هذا الانسان
الطموح الذي لا يقف طموحه عند حد ويتندرع في كل مرة
بانه يريد ان يخدم بلده مخلصا ولذلك فهو دائم البحث
عن الوسيلة المثلى لاداء رسالته وهو في الحقيقة يبحث
عن وسيلة لتحقيق الثراء والسباعي في رحلته هذه
يكشف كيف يتحول الانسان عن ميادئه ببساطة امام
أطماعه حتى ولو كان رئيسا للوزراء . لقد دفعت رغبة
الاحتفاظ بالكراسي الى التفكير الدائب عن الوسيلة غير
المشروعة التي تجعله يحتفظ بكرسي الحكم ضاربا بمصلحة
الشعب عرض الحائط ومن اجل هذا يظل الشعب كما
هو لا يتقدم خطوة والسباعي في هذه القصة يريد ان
يقول : ان كل ما يحققه الطامعون مصيره الى زوال ولا يبقى
الا الخير للناس « انها دنيا هاوية .. ومهما وصل
الانسان فيها فما زال في القراز » .
- لقد بصق على الدنيا ومن فيها من حمقى ويطالب
الذين ينتقون التقود في تشييد قبور العظماء على الفقراء
« غدا ستخلفون ذكراى وستشيقون لى قبرا بين قبور
العظماء .. بصقة على قبور عظمائكم .. فلو بعثوا من
الأجداث لقالوا لكم .. ايها الحمقى ، كفى سخفا اسرفوا

النقود التي شيدتم بها قبورا لتخليدنا على الفقراء من
أحبائكم . الفقراء الذين يتضورون جوعا ويرتجفون
عريا . أيها الحمقى أحيوا أحياءكم خيرا من أن تحيوا
ذكرى موتاكم » .

ويؤكد السبأى على هذه الصورة المقرزة في رواية
« أرض النفاق » في حديثه عن المواصلات .. وازدحامها
وبصور شيق يطل الرواية بهذا المنظر ولكن ماذا يفعل
في أمة فوضى مثل هذه الأمة التي يأكل « الفهلوبة » خيرها
وينسوتها عندما يصعدون السلم إلى آخره « وتلك هي
علة البلد .. أن الذي يحس بالمصائب لا يملك منعه ..
والذي يملك منعه .. لا يكاد يحس بوجوده » فالشعب
الذي يحس بمشكلته عاجز عن صنع أى شيء لأنه قريبة
الفقر والجوع والحرمان ، أما الحكام الذين يتقلبون في
النعيم فلا يشعرون بما يعانيه الشعب من الآم .. هذه
آفة البلد .. مصائبها في ابتائها « أن شر ما في المصائب
أن الذي لا يحس يستطيع أن يفعل . ولكنه لا يفعل لأنه
قريب هائىء .. أما الذي يحس . فهو لا يفعل شيئا لأنه
اعجز عن أن يفعل » .

ويستمر يوسف السبأى في الكشف عن المنافقين
الذين يخدعون الناس بمظهرهم ويحفظون باحترامهم ففى
قصة « في جهنم » يفاجأ بأشخاص لم يتوقع أن يراهم
« لقد أبصرت كل أنواع الناس .. أصحاب اللحى والمسابع

والعمائم .. وأصحاب الذنوب والخطايا والجرائم ..
كلهم قد زج بهم هنا .. في جهنم .. لقد استطاعت ستر
النفاق وحجب الكذب والرياء أن تستر شرور البعض في
الأرض ، فبدوا .. خيارا ابرازا . أما في السماء فقد
رفعت الحجب وأزيلت الستر .. فإذا كلهم انجاس
مناكيد ، وأذ كلهم زبائن جهنم « ورغم هذا يرفضون
العودة الى الأرض لأن نار جهنم أخف من الأرض وما فيها
من شرور وآثام .

لقد اهتم يوسف السباعي بالإنسان باعتباره الدعامة
الأساسية في المجتمع وهو الذي يملك ارادة التغيير ،
يملك ارادة تحقيق التقدم للمجتمع ، لقد شغل السباعي
بقضيتين هامتين هما الأخلاق والحرية .. حرية الفرد
في مجتمعه .. لأنه لا خير في أمة ضاعت الأخلاق فيها
كما يقول الشاعر .

انما الأمم الأخلاق ما بقيت

فان همو ذهب أخلاقهم ذهبوا

ان السباعي يرى فعلا ان الأزمة العالمية في جوهرها
هي أزمة أخلاق ، وهو بذلك يشير الى مأساة الإنسانية في
الحربين العالميتين . وهي نفس نقطة الانطلاق التي بدأ
منها نجيب محفوظ في روايته « زقاق المدق » (فن
الرواية عند السباعي .. د. نبيل راجب) لقد عنى

السباعى بالقضايا الاجتماعية والسياسية وعبر عنها تعبيرا دقيقا بصدق وحرارة لذلك تجاوبت معه الجماهير بسرعة لأنها وجدت نفسها في أعماله . . لقد صور الحياة المصرية تصويرا حيا من خلال النماذج التي اختارها من صميم الحياة المصرية ولذلك جاء الفن القصصى والروائى في أدبه معنيا بالتجارب الإنسانية وبالتجاهات الفلسفية والاجتماعية والنفسية ، فيها يصور الإنسان على أنه مخلوق حى ذو جوانب نفسية متعددة ويواجه موقفا خاصا . فليست القصة أو الرواية في رؤية السباعى تقريرا عن التجربة ولكنها تصوير حى للتجربة يوحى بمعان إنسانية ونفسية هامة تتراءى من خلال الموقف الخارجى (الرؤية الإبداعية في أدب السباعى - د. عبد العزيز شرف ، ورجاء شعير) .

لقد استطاع السباعى بقدرته الفنية أن يحول كل ما هو خاص الى شىء عام يهم كل الناس ولذلك حدث الاتصال بينه وبين الجمهور لأنه استخدم - على حد قول الدكتور/ عبد العزيز شرف - مواطن الشبه في التجارب وسيطر على عناصرها ، وذلك أن السباعى يتسم اتصالا بالشجاعة والعزيمة والاقدام وحسن النية والتواضع وعدم الغرور والأمانة والإنسانية وروح الأعلى وهى شروط الاتصال الجيد » .

لقد تميز السباعى بطريقة تناوله لهذه القضايا

بأنه تناولها بروح خفيفة فكهة واسلوب ساخر احسن
توظيفه ليحقق التغيير الاجتماعي .

- لقد تمثل السباعي مصر في كل عمل من اعماله
فجاءت نماذجه من صميم الحياة المصرية تحمل سماتها
ومقوماتها كما في مجموعة « بين ابو الريس وجنيشة
ناميش » وامة ضحكت . والشيخ زعرب ، مستخدما
اللغة السهلة البسيطة لتوصيل افكاره الى المتلقي
واشراكه في تجربته لاحداث التأثير المنشود عليه ودفعه
الى العمل الايجابي وبذلك يتحقق الغرض المطلوب من
العمل الفني ، لقد التزم السباعي بقضايا الانسان ولكنه
صاغها صياغة فنية تبعد العمل الفني عن الدعاية
والسذاجة وهذا الالتزام نابع من ايمانه كفنان بوجوب
تحقيق العدالة والحرية والتقدم ، نابع من قهقه لتاريخ
مصر وحضارتها .

أرض النفاق والإرادة الإنسانية

يعتبر أدب يوسف السباعي صورة صادقة للمجتمع لأنه انعكاس حقيقي له وهذا نتيجة احتكاكه المباشر بمشاكله ، ويتفرد السباعي بطريقة المعالجة فهو ينطلق بموضوعه من المحلية إلى النطاق العالمي لأنه يخاطب المشاعر الإنسانية ، وهذا النوع من الأعمال الفنية لا يرتبط بعصر معين .. لقد عالج السباعي في أعماله الحب .. الأخلاق .. الحرية .. الموت وهذا كله يهم الإنسان في مصر وفي أي مكان على هذه الأرض . لقد اختار نماذج من الحياة المصرية ، تشيع فيها الروح المصرية والنكتة المصرية وهذا ما جعل القارئ الغربي عندما ترجمت أعماله إلى لغته يتجذب إليها لأنه يريد أن يعرف عن مصر كل شيء .

حضارتها .. وفكرها .. وتطورها .. ولقد استطاع يوسف السباعي أن يحقق هذه العالمية لاهتمامه كما قلت بالإنسان عامة .. ويتمثل هذا في أعماله الأدبية

فمثلاً في « رد قلبي » يسجل أحداث ثورة ١٩٥٢ باعتبارها طفرة هامة في تاريخنا المعاصر « ويبدو لي أن سبب اهتمامي بهذه القصة .. هو يقيني بضرورة تسجيل الأحداث الخطيرة التي حدثت في تاريخنا المعاصر .. ولقيني بأن بصفتي العسكرية .. أقدر الكتاب على تسجيلها بحكم خدمتي في الجيش واحساسي بالشاعر التي أدت إلى حدوث هذه الأحداث التي غيرت وجه التاريخ في مصر » وفي « السقامات » يقدم السباعي صورة حقيقية للحياة المصرية في الأحياء الشعبية بمعاداة أهلها وتقاليدهم في المناسبات والأعياد بجانب معالجة فكرة الموت وكيفية تحديه من أجل الحياة .

وفي « نحن لا نزرع الشوك » تدور حول البحث عن الذات ، ومجموعاته القصصية « بين أبو الريش وجنينة ناميش » و « أرض التفاف » و « يا أمة ضحكك » و « الشيخ زعرب وآخرون » كلها تقدم صورة صادقة للحياة المصرية من خلال لوحات فنية .. لقد قدم يوسف السباعي أعماله في شكل بسيط بعيداً عن الغموض والتعقيد ولكنها ثرية في مضمونها وفي فكرها . وهذا ما حقق العالمية لشييكوف في أعماله الإنسانية فنحن لا ننسى قصته القصيرة « موت موظف » و « لمن أحكى كابتى » ولا ننسى « آلام » لمكسيم جوركي و « نهر الدون الهادي » لشولوخوف و « العجوز والبحر » لهمنجواي

وأعمال شكسبير المسرحية « وكوخ العم توم » للكاتب
بيت يتيشر ستو لأنها أعمال لا تصور الواقع المحلي
فقط ولكنها تنطلق الى آفاق إنسانية أرحب تشمل
الإنسان في كل مكان ، يجد نفسه فيها فيتعاطف معها
ويشارك أبطالها مشاعرهم .. والسباعي أيضا يجد
الإنسان نفسه فيه في كل مكان .. همومه .. وأخلاقه
في أعماله .

ورواية « أرض النفاق » التي نتحدث عنها هنا
تضع الإنسان في أي مكان في مواجهة صريحة مع نفسه
لكسر حاجز الخوف ، لينزع ستر النفاق ويتقدم لتغيير
واقعه المر « يا أهل النفاق !! تلك هي أرضكم .. وذلك
هو غرسكم ما فعلت سوى أن طفت بها وعرضت على
سبيل العينة بعض ما بها .. فان رأيتموه قبيحا مشوها
فلا تلوموني بل لوموا انفسكم .. لوموا الأصل ولا تلوموا
المرأة » .

إن السباعي يريد أن يثير في الإنسان ارادة الفعل
الذي يميزه عن الحيوان .. ارادة الفعل لتغيير واقعه
لأنه اذا لم يتحرك هو لتغيير واقعه المزم فإن يحدث
التغيير « أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »
هذا هو الدستور القرآني .. اليس الله يقادر على تغيير
أحوال الناس وتخليصهم من الظلم والفساد ولكن الله
يريد للإنسان أن يكون إيجابيا ، يمتلك الإرادة لتغيير

واقعه الى الأفضل .. فالسياسي يتمثل هذا جيدا
ويؤمن بأن أي تغيير لا يمكن أن يحدث من الخارج الا اذا
اتبع من داخل الانسان أولا .. يؤمن انه عندما يتصلح
الفرد تنصلح الأمة . في ختام ارض النفاق يقول السياسي
انه لم يفعل سوى ان طاف بأرضنا وعرض على سبيل
العينة بعض ما بها ، وهذا عمل الفنان الاصيل الذي يمتلك
الحاسة الفنية المرفقة الذي يلتقط الأحداث التي يمل
عليها الانسان العادي فلا يشعر بها .. ولكن الفنان
يتميز عن الانسان العادي بحاسته الفنية تلفت نظره
وتثير في نفسه أشياء تدفعه الى الكتابة عنها وابرارها
ليلفت اليها الناس الفاقلين وبذلك يتحقق ما يريده
الفنان من فنه و « أرض النفاق » ستظل ماثلة امامنا
لا ننساها لأن الأرض ان تخطو من النفاق ولن يوجد على
الأرض شعب لا يعاني من فساد الحكام والدك فتحن في
حاجة دائما الى تمثيلها . وفي هذه الرواية استغلل يوسف
السياسي من خلال الصور والمواقف المتتابعة التي وقع
فيها بطل الرواية ان يستخدم أسلوب الصدمة الكهربائية
بان يكشف الصورة التي تعيشها بما فيها من قبح
اما شعب يكره نفسه لأنه - رغم ما يشيعون عنه انه
مصدر السلطات - يأبى ان يصلح حاله .. ويمالج
مصائبه .. ويرى من نفسه ذلك القيد الثقيل من الفقر
والجهل والمرض .. واما انه شعب زاهد ، قد تعود ذلك
البؤس الذي يرتع فيه ، والحرمان الذي يأخذ بخناقته .

تشخيص صادق وصريح لحال الشعب يصدر عن
صادق يوسف السباعي ويكشف عن معاشته النامية
للمجتمع وتفهمه النابع عن وعي بتاريخ أمته وما يمر بها
من أحداث .

لقد أثار يوسف السباعي في « أرض النفاق » عدة
قضايا منها .. فساد الحكم ، العدالة الاجتماعية .
رسالة رجال الفكر .. قضية فلسطين .. لقد تجول
البطل الرواية في نواح مختلفة من حياة المجتمع ليقدّم
صوراً قبيحة مقززة ليستثير في الإنسان ارادة التغيير
للتخلص من الظلم .. انه يندد بالحكام الذين يهملون
أمور الشعب ولا يهتمون إلا بأنفسهم وتحقيق الثراء على
حساب الشعب المسكين ، ان شر ما في المصائب .. ان
الذي لا يحس .. يستطيع ان يفعل ، ولكنه لا يفعل لأنه
قرير هاتئ اما الذي يحس ، فهو لا يفعل شيئا لأنه
اعجز من ان يفعل) .

السباعي في هذه الكلمات يضع يده على أصل
المشكلة .. ان الشعب الذي يريد التغيير لا يملك ان
يمنع عن نفسه البلاء والذين يملكون منع البلاء لا يحسون
به لأنهم يعيشون في عالم بعيد عن آلام الشعب « وتلك
هي العلة في هذا البلد ان الذي يحس بالمصائب لا يملك
منعه .. والذي يملك منعه .. لا يكاد يحس وجوده » .

وكيف يشعر الحكام ومنهم ابراهيم العقب نايفة
المبضة الذى كان يتاجر في اعقاب السجائر ثم يكافح
بطريقته حتى يصل الى ان يصبح نالبا .. ان امثال
ابراهيم العقب زعيم الموجودين في كل عصر يملكون قدرة
التسلل في اى موقع . ان قصة ابراهيم العقب زعيم
« لماسى السبارس » قصة لا تنتهى ابدا .. والتاريخ
يعيد نفسه .. « ما بالك بالاسياد الذين يتولون
امورنا ويتبادلون علينا ، الواحد بعد الآخر ،
فلا يفعل كل منهم سوى سلام اسياده » فلايد لكل منهم
اسياد يؤدى لهم التحيه ويأمر بامرهم ويتلقى منهم
الوحي والالهام .. ما بالك بالخطب التى يتلونها منذ
عشرين عاما كالبغاوات ، يكرر كل منهم ما قاله سلفه
حتى وانه ليخيل الى ان كلا منهم يتلو ما كتب دون ان
يقوم له معنى ، فهو يتلوه لمجرد التلاوة .. اذ يعتبر ان
واجبه قد انتهى عند حد التلاوة والاكثر من هذا - قصة
ميمون الجبل ، مجموعة يا امة ضحكت ويسخر السباعى
في القصة نفسها من مجلس النواب ويعلق عليه مجلس
النوام .. ويسخر أيضا من الشخصيات الكبيرة ويقول
انهم اسماء كبيرة وليسوا رجالا كبارا « فكبار الرجال
يندر وجودهم في هذا البلد .

وامام الفساد المتفشى في رجال الحكم الذين يلعبون
لعبة الحكم الفاسدة « هذه اللعبة لعبة الحكم والحكام ،
وما يتبع ذلك من انتخابات وبرلمانات واحزاب وسياسة»
وهى شر ما ابتليت به مصر » .

ويندد بالأحزاب التي تتبارى للوصول الى الحكم
ليكون وسيلة « لرشاء هذه السياسة المسماة الأحزاب ،
إما رشاء الشعب وقيادته واصلاحه والتهوض به فذلك
أشياء ، قد لا تأتي في اذهان الحاكمين الا عرضاً ولا تأتي
ابداً » ما اوجنا الى مثل هذه النصيحة الآن بعد عودة
الأحزاب . ولا يترك السباعي الأمر هكذا ولكنه يقترح
حكومة جديدة يقودها اناس جدد انقياء لم تتلوث نفوسهم
حتى يستطيعوا ان يخدموا البلد « يجب ان نضع في
الحكم فعلاً رجالاً لم تلوثهم الأيام ولم تلقتهم اصول
التفريط ، وتفرض عليهم تنفيذ مشروعات معينة في مدة
معينة .. على ان يقوموا في كل عام بتنفيذ الجزء الذي
يجب تنفيذه خلال هذا العام ويقودوا نهضة البلاد
في جميع الشئون اقتصادية وزراعية وصناعية
ومسكونية يعملون في صمت وسكون ، ويدعون الصياح
والضجيج للايتام المنهمكة في لعبة الحكم انه يريد حكومة
تهتم بشئون الشعب بدلا من تلك الحكومة التي تترك
المؤسسات والشركات تبعث بمصالح الناس فاذا لم تكن
حكومة قوضي في امة قوضي ما تركت مثلاً للشرقة على
النقل تبعث بمصالح الناس .. فلا تفسع في خطوطها
الا عدداً ضئيلاً من العربات لا يعنى بحاجة الجمهور الذي
يحتر فيها كالسردين والشركة تترك السائقين ليحكموا
في عباد الله فلا يقفون الا عندما يشاءون » .

وكما كشف بصراحة عن فساد الحكم طالب بصراحة

بالعدالة الاجتماعية لينعم المسكين بحياة كريمة تنقذه من
برائن التالوث الفقر والجهل والمرض .. يطالب السباعي
بالعدالة الاجتماعية لهؤلاء الذين يقطنون الحظائر وبيوتون
على الطوى ويشربون مع البهائم من ماء الترع .. ان
الهياكل التي هزلت من الفقر والجوع والحرمان .. ان
والأجساد التي حطمها المرض وانهكتها العلل .. لا تملك
من امر نفسها شيئا .. انها بلا حول ولا قوة .. انها
قطيع يسير الى مصيدة التمس في رضا واستسلام
ونجده يؤكد هذا في قصة ميمون الجبل (مجموعة
يا امة ضحكت) فيشرح احوال البلد على لسان صاحب
القرود عندما رأى تمرد قرده على حياته التي لم تتغير
منذ أربع سنوات « افما بالك بالفلاحة نفسها التي مضت
عليها عشرات الأعوام وهي لا تجد ذلك المعين الذي
تقلدها في عجنه .. وما بالك بالفلاح الذي قضى مشات
الأعوام وهو لا يجد ما يشربه سوى الماء العكر المخلوط
بكل ما في جعبة عزرائيل من امراض وجراثيم .

ان احساس السباعي بالام الانسان قوى وصادق
اقد طالب السباعي للشعب دائما بشيئين هامين .. لقمة
العيش والحربة .. ولكي يتحقق ما يريد طالب الأغنياء
بان يتنازلوا عن جزء من ثرواتهم .. يدعوهم الى أن
يجربوا الحياة في عيش الترحمان وزينهم .

يجب ان يجرب رئيس الوزراء والوزراء وغيرهم

من العظماء والأثرياء كيف يمكن لآسان أن يعيش هو
وأسرته بأربعة جنيهات في الشهر .. يجب أن يقطعوا في
عشنة من عشش الترجيمان وزينهم .. أيجارها
خمسون قرشا .. يجب أن يجربوا كيف يمكن أن يأكل
الإنسان لحمة مرة واحدة في الشهر ، لحمة لا تزيد عن
الفشش والأزوار والكروش التي تباع في المديح .. كيف
يمكن لأربعة جنيهات أن تكفي حالة عائلة .. يجب أن
يصوموا عن الفنى والتعيم .. لا إلى الأبد .. ولكن
يصومون لمدة شهر واحد حتى يحسوا ذلك اليأس الذي
لا يخطر لهم على بال .. أجل أن تصلح الأمة .. إلا إذا
سن فيها قانون الصيام .. الصيام عن الفنى والتعيم .

دعوة صريحة للأغنياء لمشاركة الفقراء في آلامهم وأن
يجربوا الصيام شهرا واحدا .. دعوة تنبع من التعاليم
الاسلامية من فلسفة الصيام الذي سته الله سبحانه
وتعالى هو الاحساس بما يحس به الفقراء من جوع
وحرمات .. لقد وقف السباى دائما بجانب المحتاجين
ولقد كان يطبق ما كان ينادى به في أعماله الأدبية فلم
يكن يقول كلاما لا يؤمن به .. انه وقف بجانب الكثير
من الناس في أزماتهم ومد يد المساعدة لكثير من
المحتاجين من جيبه الخاص ولهذا كانت كتاباته تصدر
من قلبه لأنه يؤمن بها إيمانا عميقا ولهذا تصل إلى قلب
المتلقى مباشرة ويكتب لها الخلود لأنها تعالج مشاكل

تنجدد في كل عصر بصور مختلفة .. فالمطالبة بالعدالة
 الاجتماعية لا تنتهى والمطالبة بالحرية لا تنتهى والمطالبة
 بكتيب احرار يخدمون كامتهم بشرف لا تنتهى ايضا لانه
 يؤمن بان رجال الفكر هم نبض الأمة .. هم ضمير
 الشعب ، فلا بد ان يكون ضميرهم نقيا حتى يكونوا عيونه
 التى ترى وحتى يشدوه الى الطريق الحق ويكشفوا له
 اى زيف او خديعة .. يطالب السيامى رجال الفكر
 الا يتاجروا بأقلامهم حتى لا يصبحوا « باعة كلمات وتجار
 افكار تستأجرهم الجرائد لقاء أجر شهري فيوردون لها
 المقالات بكميات معروفة في مواعيد منتظمة كأنهم
 متعهدو لحوم وخضار .. يكتبون لمجرد ملء الفراغ وسد
 الخانة .. ان الكاتب لا يكتب حين تنضج في راسه فكرة
 او حين ينزل عليه وحى فهذه اشياء لم يعد لهم مكان في
 دنيا الروتين ، يؤكد على هذه الفكرة في قصة بصقة
 على دنياكم (مجموعة يا أمة ضحكت) فيطل القصة
 بواجه نفسه بصراحة وهو على فراش الموت ويكشف
 حقيقة نفسه .. كيف خدع الشعب وتخلّى عن مطالبه
 عندما وصل الى كرسى الحكم .. لقد جرب أن يكون
 كاتباً .. فماذا كان ؟ لقد أصبح كما يقول عن نفسه : بائع
 كلمات وعلى قدر ما يدفعون لى اكتب لهم .. ولست
 أشك ان بائع الترمس خير منى وأفضل فهو يبيع شيئا
 ملموسا يحس به الناس جميعا بين ضروسهم وفي
 أعمارهم .. انما انا أبيع لا شيء .. أبيع كلمات بعد

لحظات ستهذب مع الريح فهذا بلد لا تجدى فيه الكلمات
 تقعا .. انما تجدى فيه العصي والسياط ويفكر بطل
 « ارض التفاق » بعد ذلك في استخدام شجاعته استخداما
 حسنا ففكر ان يستخدمها في الدفاع عن فلسطين لانه
 احس بانها في حاجة اليه والى امثاله من الشجعان
 المخلصين .. ماذا فعل القادة العرب ؟ .. لم يفعلوا
 الا الخطب وما زالوا يبيعون الكلام ويتهمون الشرفاء
 بالخيانة والفلسطينيون يقتلون بيد اليهود . ان السباعي
 يقول لامثال هؤلاء القادة الذين شيعوا فلسطين بخطبهم
 في حرب فلسطين ١٩٤٨ يا امة العرب .. يا امة
 الخطب .. يا امة الحفلات والمآدب .. والله ما كانت
 خطبكم الا خطوبا .. وما كانت مادبكم الا مآرب .. ان
 العدو ينهش جسدكم .. فلا تفعلون شيئا سوى الانين
 واليكاء .. ان الخطر يدهم ابوابكم فلا تفعلون شيئا
 سوى العويل والصراخ ان الاندال يسجون نساءكم
 ويذبحون اطفالكم وانتم تجتمعون وتنفضون وترحلون ،
 ثم تتشد قون بعد ذلك بشجاعة العرب يا اشباه
 الرجال .. ولا رجال ؟ .. كلمات جريئة قالها السباعي
 ١٩٤٩ في مواجهة الحكام العرب وما احوجتنا لوا اليوم
 لتتدير امورنا في مواجهة العدو الاسرائيلي الذي ينتهز
 فرصة اختلافنا ويضرب ويقتل في الفلسطينيين .. لقد
 دافع السباعي عن القضية الفلسطينية في كتاباته في
 المؤتمرات الدولية ولكن اعمت الخيانة والفدر عيون

المتأمرين عن هذه الحقيقة فافتالوه غدرا .. ان هذه الكلمات ستظل ماثلة امامنا باستمرار لأن الوضع بالنسبة للقضية الفلسطينية كما هو منذ عام ١٩٤٩ .

لقد تناول يوسف السباعي في هذه الرواية أهم قضايا الانسان .. العدالة الاجتماعية ، والحرية وبعانها قضية فلسطين ويرى ان الحل لكل هذه القضايا ان نتخلص من النفاق .. ان نواجه انفسنا بصراحة حتى نتبين ما حولنا .. انه يدفع بالانسان الى التفكير فيما حوله ثم يتحرك لتغيير واقعه السيء .

ان السباعي كان ضمير الشعب الحي الذي يحس بالامة وبما يعانيه ، ولذلك عبر عنه في جميع اعماله .. كان يبصر الشعب بطريقه وما يجب ان يفعله للخلاص من الظلم لأنه كان يمتلك الرؤية الواضحة التي تجعله يستشرف المستقبل ولا يفرق مع الاحداث التي تجعله متغائلا ولا يقع فريسة النشأوم .. وهذه القضايا التي عالجه ان كانت تهم الانسان المصري أولا فهي قضايا تهم الانسان عامة في أي مكان ولذلك عندما ترجمت اعماله الى لغات مختلفة تجاوب معها قارئها واحس بها فلا توجد أرض بلا نفاق ولا يوجد شعب على هذه الأرض لا يعاني من ظلم ولا يعاني من الفقر والجهل وبنافيل من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ان التاريخ يعيد نفسه وعجلة الزمان تدور وتكرر تلك المأسى ولهذا ستظل اعمال يوسف السباعي خالدة نرجع اليها دائما .

صور ابن البلد في أدب يوسف السباعي

لقد اهتم يوسف السباعي بقضية الأخلاق لايمانه بأنها الأساس القوي الذي يتصلح به الإنسان وبالتالي تتصلح الأمة .. ولذلك نراه يؤكد على هذه القضية الهامة في كل عمل من أعماله .. وفي مستويات اجتماعية مختلفة عند المثقفين وأولاد البلد وصور كلامهما تصويرا دقيقا صادقا .. لقد عاش السباعي في الأحياء الشعبية .. ولذلك نجده يسجل رحلته مع أولاد البلد في مجموعته بين أبو الريش وجنيثة ناميش ، ولم يكتف السباعي بوصف الشوارع والحواري والأزقة في رحلته التي اصطحبنا فيها من « أبو الريش » الى جنيثة ناميش وسيدى الأربعين ... الى المديح وسيدى زينهم والماوردي وسيدى الجبى ، منتقلا الى البغالة وزين العابدين والناصرية ، والمتديان وسيدى العتريس ، ولكنه قدم أهالي هذه الأماكن من خلال نماذج اختارها ليعبر من خلالها عن نفسية ابن البلد وأحلامه وعن أخلاقه وما يتصف به من اخلاص وشهامة وتضحية وكفاح ،

لقد وجد يوسف السباعي في ابن البلد المطبوع على
المصراحة والوضوح ، لا يعرف الدبلوماسية في معاملاته ،
نفسه كتاب مفتوح يقرأه الإنسان بسهولة .. لقد احبهم
وعاش معهم .. لقد احب الشيخ « علي لوز » (في قصة
أبو الريش) الذي يرفض أن يتأفق الناس ويخدمهم
عندما فرضت عليه زوجته رحمانه أن يترك شغلة الأراجوز
ليحل محل حماء في خدمة ضريح أبو الريش بعد وفاته
حتى لا يضيع المنصب من العائلة ولكنه يتمرد على نفسه
لأنه أحس بأنه يضحك على الناس « لقد كان بالأراجوز
يضحك الناس ، فأصبح بلحيته وسبحته يضحك على
الناس » حاول التخلص من وظيفته هذه ولكن لا يستطيع
تحت تهديد زوجته وحماته فوجد الحل في استخدام
الأراجوز كوسيلة ليرضى نفسه ويشعر براحة البال بأنه
لا يخدع الناس « فكر الشيخ على برهة فوجد أن ما تعود
إليه يفعله من تعاويل وما يمنحه من بركات ليس سوى
خداع في خداع ، وأن خير ما يمنحه للمرأة مخلصا
هو أن يسلبها ببعض اللعب بالأراجوز » وينجح في لعبته
وتسعد المرأة وتذهب إلى منزلها فتجد ابنها قد شفى ،
وشاعت معجزة الشيخ على في الحي « ولم يفكر
الشيخ على بعد ذلك في ترك الضريح ، فقد سره أن
يعبد الله مخلصا بطريقته الخاصة ، وتركه الناس يلعب
بدماه كما يشاء » .

ويعالج يوسف السباعي هذه القضية بشكل أكبر في روايته « أرض النفاق » هذه الأرض التي فقد أهلها الشجاعة في مواجهة الفساد ، والجرأة في قول الحق والمرؤة في مساعدة الضعفاء والمحتاجين .

والسباعي يبحث دائما عن البساطة ، من البسمة الصافية ، من الكلمة الحلوة الصادرة من القلب ، يطالب بأخذ الدنيا ببساطة كما أخذها السيد علي (في قصة سيدي العتريس) هذا الرجل الذي لا يكف عن الضحك والنكتة الطريفة والبسمة الساحرة التي لم يفقدها حتى بعد موت ابنه الحبيب وظل هكذا حتى مات ، كانت فلسفته أن « الحياة حلوة وأن المرارة في أفواهنا ومن كانت المرارة في فيه فإنه يجد مرا الماء الزلال .. الحياة سهلة لمن لا يركب الصعب - مستقيمة لمن لا يعوج ولا يلتوى .. هينة لمن يخلص .. لينه لمن يؤمن » ويرى أيضا أن الحياة حلوة .. دعها تسير .. دعها تكيف نفسها كما شاءت لا تفقدها فإنها بطبيعتها سهلة .

ونترك الشيخ علي لوز والسيد علي إلى « زكي الجحش » في قصة سيدي النجيب لتجده يحلم بقضاء ليلة مع سونة البنت الجميلة ، ولكنه يهرب منها عندما تكون بين يديه قبل أن يقع في المعصية .

واين البلد لا يعرف التواكل والكسل ولكن يعرف الكفاح من اجل الحياة ولا يستسلم بسهولة فهذه فاطمة شيخون (في قصة الموردي) تحرص على تعليم ابنها بعد فقد زوجها حتى يكون حفظه احسن حالا من حفظ ابيه الجزار ، وتكافح لتوفير هذه الحياة التي رسمتها لابنها ولكن القدر يضربها في احلامها فيخطف ابنها الوحيد .

وفي روايته الرائعة « السقامات » تعبير صادق على تحد الانسان الموت ، وتحليل دقيق لتفسيه ابن البلد . . فالسيد شوشة السقا البسيط شهم في مساعدة الاصدقاء والوقوف بجانبهم مضحيا بماله وبنفسه . . شجاع في مواجهة المشاكل . . له ارادة قوية تحدى بها الموت الذي اختطف اياه ثم زوجته . .

لقد قدم السباعي في اعماله صورة امينة وصادقة للأحياء الشعبية ولأبن البلد المطبوع بقطرته على الصدق والحب . . ولذا تلاقى روحه معه لأن روحه صافية تنفر من الشر وتحب الخير والصدق لقد عبر يوسف السباعي عن هذه القيم الأخلاقية الأصيلة في كل كلمة كتبها وكان يرى كل شيء جميلا . . كان يحب أن يرى الناس مخلصين . . أن تخلو من النفاق « ايه يا تاجر الحق في أرض النفاق » يا بائع الصدق في دنيا الرياء ايا مهد الشجاعة لمعشر الجبناء ، والاخلاص لجمع ضاع بينهم الحق وعر الوفاء ، لشد ما آلمتني فجيعتك واوجعتني خسارتك » . .

الاعراء الاخير

الدكتور نعيم عطية متعدد المواهب فهو فنان تشكيلي وله دراسات قيمة في هذا الميدان وقصاص اصدر اكثر من مجموعة قصصية وعددا كبيرا من القصص في المجلات الادبية لم تنشر بعد في كتاب ، وهو مترجم دقيق يقيم جسرا بيننا وبين الادب اليوناني الحديث من خلال الترجمة من اليونانية الى العربية ومن العربية الى اليونانية .

ونعيم عطية في قصصه نلاحظ انه بجانب اهتمامه بالمضمون يهتم ايضا بالشكل متأثرا بالفن التشكيلي . . . انه يهتم بالقضايا الانسانية والاجتماعية وما يعانيه الانسان من مشكلات واثرها على سلوكه وما تحدثه من تغيرات ، ويريد ان يقول : ان الحب بين الناس هو اسمى هدف ويمثل ذلك كله في مجموعة قضية الشاوش صقر . ولحظة لقاء ، واخيرا في قصته الطويلة « الاعراء الاخير » فهو يقدم نماذج بشرية من بيئة معينة عانت الفقر والجوع

ويضعها تحت المجهر ليبرز ما يطرأ عليهما من تغيير في الأخلاق وفي تعاملها مع الآخرين عندما تتغير أحوالها الاجتماعية .. والكاتب يختار في قصته شخصيتين رئيسيتين هما « فتيحة » و « فردوس » .. يقدمهما الكاتب بشكل طبيعي بكل ما فيها من تناقضات .. الحب والكراهة .. القوة والضعف ... الوضاعة والأنانية .. فتجد فتيحة الذي عانى من الفقر والحاجة بعد موت أبيه وزواج أمه من رجل آخر .. يتمكن من بناء نفسه .. وتكوين ثروة من التجارة والكسب بأساليب غير مشروعة كالربا مستغلا حاجة الناس في الحي الذي يقيم فيه بعد ما ترك قريته .. وتحول « فتيحة » إلى شخصية متفردة ساذية النزعة .. يستمتع بتعذيب الفقراء الذين يقيمون في برائته تحت ضغط الحاجة وضيق اليد .. فبدلاً من أن يكون انساناً عطوفاً يرحم المحتاجين الذين يعانون الفقر كما عاناه نجده انساناً جشعاً يعميه المال المتزايد في خزينته .. تحول إلى انسان انتهازى يعرف بوسائله الحقيرة كيف يصل إلى ما يريد .. أصبح يؤمن بأن كل شيء بثمن .. الناس عنده « يباعون ويشترى » ولذلك نراه « يشحن تفكيره كيف يشتري الشخص بأبخس الأثمان » .. لقد جعله المال ظالماً وناسياً ربه وأصبح لا يفكر إلا في كيفية اذلال الناس ليشبع عقدة النقص التي ترسبت في أعماقه وأصبحت تسيطر على كل تصرفاته .. أصبح شعاره « سوف أجعل بعالي

كل رجل رهن اشارتي ، وكل امرأة طوع بثنائي ، يكفي
ان اصل الى ان اكون غنيا » .

وظل فتيحة يشرب من بشر الطمع ولا يشبع ..
ويتأخذ باذلال الناس ويدفعه هذا الاحساس الى
امتلاك امرأة لتكون زوجة له .. فيفكر في « فردوس »
وهي الشخصية الثانية الرئيسية في القصة وهي التي
تقوم بخدمته باخلاص وامانة وكبرياء صامت .. لا تتكلم
ولكن لها نظرات تعبر عما تريد ان تقول بوضوح ..
لقد اراد فتيحة ان يشتري فردوس بماله كما يشتري
كل الناس .. حاول اغراءها بالذهب الذي جمعه من دم
المحتاجين .. ولكن لم يهتز لها رمش ولم تنطق بكلمة ..
غاضبه تصرف « فردوس » الذي يدل على اعتزازها
بنفسها .. ويكرر محاولاته .. وأخيرا تقبل فردوس في
كبرياء الزواج منه .. وبعد ان يحقق امنيته تلج عليه
امنية اخرى وهي الانجاب ولد يحمل اسمه .. ويفجر
الكاتب هذه الرغبة من خلال موقف يعيشه فتيحة وهو
موت صديق عمره شعبان .. ورأى اولاده يقفون في
السرادق يتلقون العزاء .. عرف ان صديقه لم يموت
لانه ترك ذرية من بعده .. افسح لزوجته عن رقبته في
الانجاب ، وحاول مرات ولم ينجح ، فصرخت فيه ذات
ليلة « عبثا تحاول يا فتيحة ، تعلب نفسك وتعذبني ،
فلترض بقليلنا ، ونفلق الباب علينا ، كل شيء في غير
اوانه مجوج غير مستحب ، بل وايضا خطر وضار ،

(فان الوقت الا يا فتحة) . فلتراع ذلك ، ولنظل على ما نحن عليه ، دون ان نبش بحثا عما ليس لنا وليسنا عليه بقادرين » .

بهذا الموقف يحدث الكاتب المواجهة بين الشخصيتين .. فتحة بطمعه وفردوس بصراحتها المؤلمة لتجعله يواجه الحقيقة ويقنع بها ليعيشا في امان ويشكر الله على كل ما يعطيه لهما .. ولكن فتحة الذي تعود ان يصل الى كل شيء يريد عذبه فشله في انجاب ولد .. يفقد اعصابه .. تسرى في كيانه رعشة المهانة ويكشف الكاتب عن شخصية فتحة في رسمه لهذه الشخصية فيقول « جبل فتحة الأشول على الجبن ولاشك ، ولكن رائحة الكسب الكبير كانت طعما يجذبه اليه وينسيه ما عداه » .. لقد تلبدت مشاعره فالمهانة التي يشعر بها « لم تكن احساسا غريبا عنه على اى حال ، كل حياته امضاها في ذلة ومهانة » .

وفتحة لالحاح الزوج في الانجاب وتحت ضغط حالة فردوس .. يقدم الكاتب مبررا لتغير شخصية فردوس من الهدوء والشرف والكبرياء الى امرأة ساقطة .. باعت البيت وعاشت مع عشيقها لتروى ظمأها الانثوى الذي فجره فتحة بعجزه معها .. وتنجب ولدا .. ولا يفكر من اين انت به .. ويسعد به سعادة لا حد لها .. ويتفجر في أعماقه ينبوع الحنان .. ويمعن

الكاتب في إبراز ضعف شخصية فتيحة وانحداره في هوة المهانة .. ليبين أنه وإن كان يمتلك المال وامتلك « فردوس » فإنه فقد شيئاً أكبر من ذلك وهو الكرامة .. لقد هربت زوجته مع عشيقها المصوراتى .

يعيش فتيحة مع ابنه .. ويعطى نفسه له كاملاً .. أعطاه الحب والحنان ولم يخل عليه .. طارحاً خلفه شائعات أهل الحي عن سلوك زوجته المشين وعن ابنه « حمامة » .. وامتداداً لسلوك فتيحة الذى يتلاءم مع أخلاقياته .. أخذ يقنع نفسه بالتأمل في تقاطيعه ليجد شيئاً يشبهه .. بكبر الطفل ويموت في حادثة .. ويموت الأب وينهب أهل الحي أمواله التى امتصها من دماهم .. وفي لحظة سريعة يكشف الكاتب عن النفس الإنسانية وما فيها من ضعف ، فصديقه الحميم زيكو الذى أخذ يدفع عنه الناس ويقف على جثته ، يجد عشرة جنيهاً ملقاة على الأرض فيلتقطها ويفسادر الشقة وهو يقول « خسارتك يا فتيحة .. سأشرب كثيراً حتى أنساك » .

إنهذه النهاية التى انتهت إليها القصة .. موت الابن وموت الأب .. وموقف الصديق .. ترمز إلى أن كل شيء يقوم على غير أساس سليم مصيره إلى نهاية مأساوية .

لقد قدم الدكتور نعيم عطية شخصيتى الرواية تقديمًا واضحًا من خلال رسمه الدقيق الخارجى والداخلى كاشفا عما فى أعماقهما من بدور الانحدار وأن

كانت شخصية فتية من الشخصيات الثابتة التي لم تتغير في القصة فان فردوس شخصية متغيرة .. فقد قدمها الكاتب بوضوح في هذه الكلمات التي ساقها عنها « فهي بالرغم من انها خادمتها - اى فتية - لم تستدل له ، بل هي تاتي الى بيته كل يوم ، وتجوس بين أرجائه مرفوعة الرأس تستمد شموخها من قناعة داخلية وعزة نفس جنتها ما قد تقود اليه الخدمة في البيوت من صفائر » .

ثم تحولت من امرأة راضية بواقعها الى امرأة ساقطة نتيجة للظروف الجديدة التي ضغطت عليها .. فتية من ناحية وحالتها الطامعة في ثروة فتية من ناحية اخرى .. ويريد الكاتب ان يبين ان الانسان اذا كان ضعيف الارادة يمكن ان يؤثر فيه اى عامل من العوامل التي تعترض حياته .

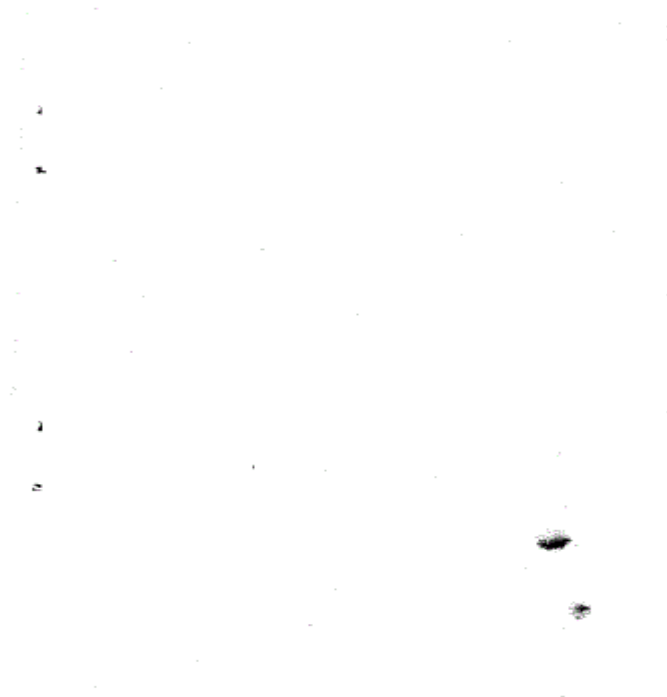
لقد ادار الدهور نعيم عطية الصراع في الرواية على مستويين الأول .. التصادم بين فتية وفردوس ، والثاني .. الصراع الداخلي الذي تفجر في أعماق فتية وكان هذا الصراع السبب في نمو الأحداث وجعل من الشخصيتين الرئيسيتين مجرى لأحداث الرواية .. ولأن هاتين الشخصيتين غير سويتين فقد دمرا وتسببا في تدمير كل شيء حولهما .

ورغم النهاية المأساوية للشخصيتين بالموت فقد نجح الكاتب في جعلنا لا نتعاطف معهما نتيجة تصرفهما

المشبين طوال الرواية . أما الشكل الروائي ، فلقد استخدم الكاتب ضمير الغائب ومزج بين الماضي والحاضر ليطلعنا على عوالم شخصياته والجوانب الخفية فيها .

والدكتور نعيم عطية ينتقل من الخاص الى العام من خلال استخدامه للمقولات والحكم والأمثال ، وهي وسيلة من وسائل حضور الكاتب ، وهذا اعطاه فرصة ليطلع علينا من خلال شخصياته ، فلنستمع الى حديث فتية عن الانجاب « راجع تراجع نفسه . هل هو غير قادر حقا ؟ نهائيا غير قادر ؟ هل الأمر قسمة ونصيب ، المكتوب لابد ان تراه العين . أم ماذا ؟ لا معنى لذلك ، بل لا يمكن ان نتصور اننا لا نوجد . لماذا اذن وجدت الأرض ، ان لم تكن كي نوجد عليها ؟ ولماذا نوجد ؟ هناك جدوى من الا يوجد » .. نسمع هنا صوت الكاتب .

ان الدكتور نعيم في هذه القصة يؤكد على معنى انساني . هو ان الانسان لا يعيش بمفرده ولكن يعيش مع آخرين فعليه ان يتعاون معهم .. انه يتعامل مع الاحساس الجماعي ويرفض الفردية .. لان مع الجموع يجد الانسان الأمان . ان احساسه الجماعي هذا يتبلور في هذه الكلمات التي تختم بها هذه الدراسة « ما أبغض ان نقول أنا ، وما أصوب ان نقول نحن » .
وهذه النظرة الجماعية الانسانية يؤكد عليها الكاتب دائما في أعماله القصصية .



المودة الى الحب والامل في النصر

تعتبر هزيمة يونيو ١٩٦٧ معلما رئيسيا في تاريخ مصر ترك بصماته الواضحة على نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وليس هذا فقط بل امتد أثرها الى الانسان المصرى الذى اكتشف الحقائق المرة ، فأحدثت شرخا كبيرا في نفسيته ادى الى تمزقه وضياعه لفقدانه الثقة في كل شيء وضياع أحلامه التى صاغت شعارات جوفاء كاذبة سرعان ما تهاوت عند أول اختبار .

وانطلق الأدباء يعبرون عن هذه الهزيمة الشنيعة التى جرحت الكبرياء المصرى وقد وقف بعض الأدباء عند حدود التذنب والعييل وفقدان الأمل في المستقبل وغالوا في ذلك وأشاعوا روح اليأس في الانسان المصرى وليس هذا فقط لقد أصبحت أعمالهم مرجعا يرجع اليه إسرائيل لدراسة الروح المصرية ومناخى تفكير الانسان المصرى وأقامت استنتاجاتها وتوقعاتها بناء على هذا

الأدب .. ولكن الحقيقة اثبتت عكس توقعات هؤلاء
الأدباء الذين لم يفهموا روح الشعب المصرى . وتحقق
التنصر في أكتوبر عام ١٩٧٣ تحقيقا لتوقعات وتنبؤات
مجموعة من الأدباء وعوا تاريخ أمتهم وعيا كاملا ودرسوا
ترانيم دراسة دقيقة فعبروا عن روح هذه الأمة
الوثابة بناء على رؤية واضحة تستشرف المستقبل المنتصر
وترفض الهزيمة انتقاما للكرامة والشرف وثارا لدم
الشهداء الزكية. كما في قصة « للزمن بقية » للشهيد
يوسف السباعى تبرز ارادة المقاوم المصرى القوية
وشجاعته في مواجهة العدو الاسرائيلى وكيف لقته درسا
في شدة وان في المقاومة العنيدة لا يتساه .. واستشرف
يوسف السباعى المستقبل المنتصر وكذلك نرى في بعض
قصص يوسف الشارونى التى يعبر الرمز فيها عن روح
المقاومة ، ورواية « العودة الى الحب » للأديب عبد البديع
عبد الله ، وان كانت هذه الرواية صدرت في عام ١٩٨١
حسب التاريخ المكتوب عليها الا أنها تكشف عن وجهة
نظر كاتبها وموقفه من الهزيمة ورؤيته للمستقبل
آنذاك .. والكاتب يدير احداثه بين ثلاث شخصيات
رئيسية هي السفير أحمد رشدى رجل الثورة ، رجل
ناجح في عمله مرموق ، ليلى طالبة الجامعة التى تبغ حب
زميلها شوقى انهارا بأحمد رشدى وجريا وراء الثراء
والأمان المادى في كنف أحمد رشدى حسب نصيحة
أمها شوقى زميل ليلى في الكلية وحبيبها .

بين هذه الشخصيات الثلاث صاحبنا الكاتب في رحلة في أعماق هذه الشخصيات وفي عقولها .. عشنا مع هذه الشخصيات في سموها ونجاحها وانهازامها ، في قوتها وضعفها والكاتب في كل حالة من هذه الحالات يستنبط كل شخصية كاشفا عن أعماقها كما يقدم سلوكها اليومي وكيفية مواجهتها للأحداث .. أما الشخصيات الثانوية مثل أم ليلي وصديق شوقي ، ومظاهرات طلبة الجامعة احتجاجا وبحثا عن الحقيقة فهي لتعميق الأحداث أو لخلق حوار مثير يدفع الشخصية الى التفكير في الأحداث التي تحيط بها .

فعندما ننظر الى « ليلي » نجد أن الكاتب من أول لقاء معها يبين كيف انتهت قصة حبها مع شوقي بكلمات روتينية لا قيمة لها دون اعتبار لمشاعره وما تسببه له من آلام « شوقي احبك كأخي وأنت لطيف وتحسن صديقتان » .. وكتم شوقي صرخة الألم رافضا أن يضعف أمامها . باعت ليلي حبها بهذه الكلمات لقاء الثراء والحياة .. وكان لهذا اثره في تغيير مسار شوقي .

وأحمد رشدي شخصية مرت بمرحلتين .. مرحلة النجاح في العمل والثقة التي يحظى بها من القيادة ، ومرحلة انهازمه عند خروجه من وظيفته وفقدانه بريق السلطة وتحوله الى تاجر دواجن جشع . ويدير الكاتب الصراع بين ليلي وأحمد رشدي مبرزاً المشاعر الجديدة

الانهازامية التي سيطرت على أحمد رشدي وققدانه
الثقة أيضا في القيادة « خلاص البلد غرقت . كل واحد
يقول يا لله نفسي . أنا ومن بعدى الطوفان » .

أصابه شعور بالترف والضيق « الألفظ منه أن
نحط هنا ويحرموا البلد من خبرتنا بلا سبب حتى
المحاكمة العادلة . أنا شخصا لا أعرف ذنبي .. ضابط
ناجم ، دبلوماسي لامع ، لماذا أبعاد عن منصبى ؟ هل
تصفية الحسابات القديمة بين القادة يدفع ثمنها
الرجال ، قلنا مائة مرة أن ولاءنا للثورة بلا حدود ، مع
ذلك لا يصدقنا أحد « الثقة مفقودة بين الجميع الكل
يبحث عن الخلاص .. ويتغير الوضع الاجتماعي
لأحمد رشدي بتحوله الى تاجر دواجن جشع لا هم له
الا الكسب بأي شكل .. فتخلي عن مبادئه وحيث
أحست ليلى أنها باعت حبها من أجل رجل أصبح في
نظرها أنه لا يزيد عن أى لص مخادع كاذب .. يدفع
لموظف صغير أو كبير ليأخذ ما لا يستحقه . ويفخر
بالعمل الحر والنجاح المستمر والأموال التي تجعل منه
ثريا وجيها من وجهاء بلده ويستمتع بالحياة والسعة ،
وغيره يقفون حائرين في المظاهرات أو خلف أسوار المعتقل
يبحثون عن جواب لسؤال أصبح من كثرة تكراره طقسا
بلا معنى « أحست بالفرق بين أحمد رشدي القوى الجدير
بإعجابها وأحمد رشدي التاجر مصاص الدماء
لا فوق بيته وبين أى خائن حرب « للأسف لا فرق

بينكما فتفس الوسائل تؤدي الى نفس النتائج ،
 أحدهما يبرق السعادة من قلوب الناس ، والآخر يبرق
 قوتهم .. والشباب .. يعرض صدورهم للرصاص
 ومرضت ليلى نتيجة احساسها بهذا التناقض الحاد
 فلم تجد مقرا من الرجوع الى الجامعة بين الطلبة
 لتشاركهم في نشاطهم ولتكفر عن خطيئتها وخطيئة زوجها ..
 وهنا نجد ليلى تحاور زوجها بحدة وانفعال اولاً لتوقظه
 من غفوته ويعود الى قوته وادائه ثم ثورة على جموده
 وبيلده .. وهنا نراها تسترجع حبها لشوقي الذي
 سافر خارج البلاد .

فشخصيات الرواية شخصيات متطورة تعيش
 حياتها تؤثر فيها وتثاثر بها ولكنها في كلتا الحالتين تواجه
 مواقفها باستسلام حيناً انتظارا لتغيير يحدث في المستقبل
 (احمد رشدي) وحيناً يتصادفها مع واقعها في محاولة
 لتغييره دون النظر للنتيجة (ليلى) او تقبل الصدمة
 بهدوء مخفيا مشاعره حفاظا على كرامته (شوقي) ..
 والكاتب يدير أحداث روايته دون انفعال محاولاً أن يقدم
 اسباب هزيمة يونيو واثرها نفسياً في الانسان المصري
 وفي المجتمع ولكن دون استسلام متفائلاً بالنصر ولكن
 دون خطابية معتمداً على المواقف التي تبرز ارادة القائل
 المصري (رؤية شوقي لمعنى حرب الاستنزاف) تتجلى
 هذه النظرة التفاضلية في نهاية الرواية عندما نجد احمد
 رشدي في الجيب العسكرية يبحث عن زوجته ليلى بعد

انفصالهما ليسلمها ابنهما الطفل معترفا لها بأنه يحبها ،
ولم يحب غيرها ويتضح ذلك في هذه اللوحة التي ختم بها
الكاتب روايته « سبحت صورة الأيام البريئة في مخيلتها ،
وعلى الرصيف كانت اليد الصغيرة تضغط على كفها
البض ، وفي الزحام لم تر سوى أشباح . تداخلت
الرؤى في عينيها ولم تفهم شيئا فتحول الجو الى لوحة
سريالية متعددة الألوان متداخلة ، لم تجد سوى حقيقة
واحدة عليها أن تواجهها بشجاعة فمسحت بطرف يدها
عينيها وشددت بقوتها يد الصغير الناعمة .. كان
الصغير ينظر الى أمه سعيدا وبخبط بأحدى قدميه
الأرض ووجهه متفتح سعادة » .

لقد تنبأ الكاتب بالنصر عندما يعود الحب الى بلدنا
ونعمل بجدية لبنائنا « لم يعد لدينا شيء نعتد به الا حيننا
لبلدنا والشعور بالذنب والرغبة في التآمر . ونحن نبدا
من تحت الصفر » وتحققت نبوءة الكاتب في أكتوبر ١٩٧٣
التي أوردها على لسان شوقي في تخيله للعبور وتحطيم
حصون إسرائيل التي ظنت أنها تحميها من أي هجوم
والرواية كما قلنا - لأن الكاتب يعالج أحداثها دون انفعال -
انقذت الرواية من التقريرية والمباشرة كما أنه استخدم
بقدره فنية الضمائر فقد استطاع أن يستخدم ضمير
المتكلم من خلال المونولوج ككتائب للنفس أو استرجاع
للكريات . فليلى تعود الى اللاشعور لاسترجاع حياتها مع
أحمد رشدي وتذكرها حب شوقي .. ثم الانتقال الى

ضمير الغائب وقد تمكن الكاتب من التنقل عبر الزمان والمكان لتقديم أكثر من صوت .. وأكثر من رؤية ويتضح ذلك في تقديمه لشخصية ليلى ورأيها في الهزيمة ، في فصل ، وأحمد رشدي في فصل آخر ، وشوقي ورؤيته اللازمة التي يعانى منها : أزمته الخاصة مع ليلى ، وأزمته العامة انعكاسا لحال البلد بعد الهزيمة .. ورؤيته للناس « كيف يحدث هذا ؟ لماذا يتغير الناس ؟ لماذا يأكل الإنسان الإنسان ؟ لماذا يزداد اللذائى والأفامى ؟ أهو عصر المرتزقة ؟ أم عصر شريعة الغالب ؟ كل الجرائم تتم بهدوء شديد وإيسامة الناس يتسمون للقتلة ، يطيلون للشر ويذمرون » .

كما استخدم الكاتب التكنيك السينمائي فقد لجأ الى استخدام اللقطات والتقطيع للتنقل بين الأزمنة والأماكن المختلفة . ويتضح هذا في اللقطات المتناوبة لوصف مشهد الهزيمة (ص ١٠) ، وفي رؤية شوقي للنصر في المستقبل من خلال عرض مشاظر مختلفة للعبور (ص ١٣٤) ووضع الكاتب الأمل في الطفل الصغير كرمز للمستقبل المشرق الذى ذهب وإلده أحمد رشدي للحرب ولحقو العار .. وتشعر ليلى بالهدوء النفسى عندما عاد زوجها الى نفسه .. وأصبح أحمد رشدي الذى عرفته . كما أن الحوار استخدمه الكاتب للكشف عن أبعاد الشخصيات ولذا جاء الحوار معبرا عن كل شخصية .. كما أن الجمل جاءت متناسقة تحمل

شحنات النفسية للشخصيات فهي تقتصر وتطول حسب الحالة النفسية .

- ٢ لقد أثبت عبد البديع عبد الله قدرته الفنية في هذه الرواية كما أثبتها في قصصه القصيرة « حكاية الطين الأخضر » التي كشفت عن موهبته وإيمانه بالإنسان وقدرته على العمل والبناء إذا امتلأ قلبه بالإيمان والحب . وهذا ما أكدته في هذه الرواية من ناحية الشكل والمضمون اللذين نسج منهما الكاتب روايته .
- ٣
- ٤

مسافة بين الوجه والقناع

لقد أثبت القاص نبيل عبد الحميد في روايته « مسافة بين الوجه والقناع » أنه كاتب يمتلك أدواته الفنية ، فقد نسج أحداث الرواية نسجا جيدا اتحد فيه الشكل والمضمون ، ورسم الشخصيات رسما دقيقا حدد فيها ملامحها ومستواها الفكري والاجتماعي ، واستخدم الحوار استخداما جيدا ساعد على نمو الأحداث وتعميقها .

في هذه الرواية يحاول الكاتب الوصول الى الحقيقة من خلال البحث والتقصي عن كيفية اختفاء « عطيات » بطلة القصة واسباب اختفائها ، ويحاول أيضا أن يبين أي الطريقين يوصل الى الحقيقة : البحث العقلاني الذي يعتمد على القروش والحجج والبراهين أم الاهتمام الى الحقيقة من طريق القلب .. بالصفاء الروحاني .

يبدأ الكاتب روايته باختفاء عطيات في ليلة عرسها وهي مع عريسها المهندس « حسن » ابن خالتها ..

يحضر وكيل النيابة ويتولى التحقيق للوصول الى حقيقة اختفاء عطيات ومدى معنوية اختفائها في عمود مسلح في احد اركان الحجرة .. وتتواتر وجهات النظر والآراء المختلفة حول اختفاء عطيات من خلال لقاءات وكيل النيابة بوالدها الحاج رجب السبكي الذي يعمل مقبأولا للمباني ويساعده المهندس حسن العريس ووالدتها .. ومن سكان العمارة .. رفعت بك وزوجته جليلة هانم وأبنتهما سوسن والشيخ متولى المتصوف الذي يمثل في الرواية الجانب الروحاني ويرفض الوصول الى الحقيقة عن طريق العقل .. وابنه بهجت الشاب المستهتر .. وبواب العمارة .. وعباس المصور الذي كان يقوم برسم صورة لعطيات .

كيف اختفت عطيات ؟

سقطت في عمود مجوف اكتشفه وكيل النيابة في الحجرة .. ووجد فيه أشياء مختلفة تخص عطيات وتخص الشخصيات التي ورد ذكرها في الرواية .. ايضالات قديمة بتوقيع المهندس حسن لصالح الحاج رجب ، عصا الطباخ الأسطى مختار ، باروكة لسعاد أختي سوسن .

يبدأ وكيل النيابة في الاتصال بهذه الشخصيات ويستمع الى اقوالهم المختلفة .. فيقع في حيرة ولكنه يصر على الوصول الى حقيقة اختفاء عطيات . ولكنه لا يصل الى حقيقة اختفاء عطيات نتيجة الأقوال التي أدلت بها الشخصيات والتي لم يستشف

منها الحقيقة .. فالحاج رجب يتحدث عن المهندس حسن حديثا يظهر فيه حرصه على مصلحته لأنه هو الذي رباها ورعاه ، والمهندس حسن يقرر أنه يحب عطيات وأنه انتقدها من والدها البخيل الذي كان يضيق عليها .. اسماعيل الجارحي يقرر أن عطيات ماتت من الجوع لأن الحاج رجب بخيل ، بهذا الحوار الجاد نشترك مع وكيل النيابة في التحقيق الدائر للوصول إلى اختفاء عطيات .. ونشعر مثله بالحيرة نتيجة أقوال الشخصيات التي تقرر بالدلائل المادية أنها موجودة ويعرفونها معرفة تامة ، فالمصور يعترف أنها كانت تحضر إليه ليصورها ، وعباس يقرر أنها كانت سعيدة ويتساءل لماذا تقتل نفسها ؟ الأمر مجرد لعبة تقوم بها وقطعا ستعود إلى الظهور ثانية .

والمصور يقول لصاحبه عندما سأله أن ترى وجه عطيات : « ولكنها بدون وجه .. أقصد لن ترى وجه عطيات » .

يريد الكاتب أن ينطلق بنا من نطاق جريمة اختفاء عطيات إلى المعنى العام الذي يبقى الوصول إليه .

وعندما يسأل وكيل النيابة خيثة أخو عطيات يقرر « أنا لا أحب عطيات .. لا تريد أن تلعب معي .. وأنا عندي زجاجات كثيرة اللعب بها .. هي تلعب مع

بهجت في المخزن .. وأنا اللعب مع النمل .. عندنا نمل
كثير .. عطيات لا تحب النمل .. أقول لها اتركي
بهجت وتعالى تلعب أنا وأنت والنمل فتقول ابتعد عني ..
النمل غضب منها .. لأنها لا تريد أن تلعب معه .. النمل
كثير ويلعب معي تحت .. النمل غضب من عطيات
وأكلها .. وأنا قلت للنمل أنت جدد يا نمل لأن عطيات
لا تسمع الكلام .. النمل عنده حاجات كثيرة تلعب
بها .. وعنده بيوت وأكل كثير .. عطيات كانت تضرب
النمل بقدمها وهي تلعب في المخزن وأنا كنت أقول لها
لا تقتلي النمل يا عطيات .. النمل بغضب يا عطيات
ولكنها لم تسمع كلامي .. بهجت يدوس النمل بقدميه
ويضحك .. النمل سيأكله كما أكل عطيات في بئر
السلم » .

وعندما يسأل وكيل النياية بهجت يشكر معرفته
بعطيات بحسب « لا أعرفها بالتأكيد .. عطيات
مستحيل .. عطيات تسكن هنا في العمارة .. وأنا
لا أعرف أو هذا معقول ؟ » .

ويؤكد هذا بواب العمارة بأنه لم ير عطيات مطلقاً ،
وفي مقابل ذلك يقرر رفعت بك وجلييلة هانم وسوسن
واسماعيل الجارحي بأنها كانت فتاة طيبة وسمعتها
طيبة ، وبعد ما أعييت الحيلة وكيل النياية ووجد نفسه
في مناهات الحيرة ولم يصل إلى الحقيقة .. يقابل

الشيخ متولى وهو ينير الطريق أمام وكيل النيابة ..
وعندما يسأله ينصحه بأن يعتمد عن كل شيء للوصول
إلى الحقيقة .. يطلب منه أن يتحرر من كل شيء إلا من
الحب « فالحب يجردك من الأشياء ويقترب بك من
سلطان الحقيقة ويكشف لك الأسرار ، والأنوار تغمرك
وتمتص شوائبك وتدنيك في عمل ونشوة » يسأله وكيل
النيابة :

— تريدني أن انحرر من سلطان العقل في هذه
القضية ؟

— أى قضية .

— قضية اختفاء عطيات ابنة الحاج رجب
السبكي .

— ومن عطيات .

ويطلب وكيل النيابة من الشيخ أن ينتبه معه
قليلا فيقرر له « لكى تصل إلى الذات لابد أن تفهم
ذاتيتك ، وتتبدد المشاق .. وتحمل آلام الرحلة
الطويلة .. وعندها وإلى جوارها .. تكن معك وأنت
معه .. تكن فيك وأنت فيها .. الله .. الله » .

ويطلب وكيل النيابة من الشيخ أن يساعده
للوصول إلى الحقيقة وبتقد ابنه الذى تدبته كل الأدلة

فيقول « الشيطان يا بني .. الشيطان والشباب ..
الكل يخطيء »

ويدلي الشيخ برأى آخر بانها قد تكون انتحرت
ويسأله وكيل النيابة أن النمل قد يكون أكلها كما يقول
خيشة فيجيبه الشيخ :

— النمل يأكل الأشياء يا بني

— أى الأشياء

— التى تترك النمل يأكلها

— فكر جيد يا بني .. فكر بقلبك لأن العقل كثيرا
ما يضل الانسان

— وكيف افكر بقلبي يا مولانا ؟

— دج جانبيا كل أوراقك ، انس تماما كل ما جمعت
من أدلة وما سمعت من أقوال وحاول ان تنظر في عيونهم .
حاول ان تصل الى قلوبهم وتأخذها برفق ، حاول
أن تقرب قلبك من قلوبهم ستجدها في النهاية لابد وان
تطمئن اليك وتفرغ محتوياتها بين يديك .. وتأكد يا بني
ان معاملة القلوب أسير بكثير من معاملة العقول .. انتظر
ان الجاني يعيش الآن بقلب مطمئن ؟

— بعضهم يفعل فعلته ورغم ذلك يعيش بقلب
مطمئن .

— لا يا بني من المستحيل أن يصل القلب الذي
يحمل اثماً إلى مرحلة الاطمئنان قبل أن يفرغ محتواه .

ويستمر الحوار بين الشيخ ووكيل النيابة الذي
يطلب منه أن يعلمه كيف يصل إلى قلوبهم فيخبره بأن
عليه أن يتعلم بمفرده .

في هذا الحوار بين الشيخ ووكيل النيابة يضع
الكاتب إمامنا وسيلة من وسائل الوصول إلى الحقيقة
وهو الحب وأنه يجب أن ننظر إلى القلوب فهي التي
تحمل الأسرار .. ويطلب من الإنسان لكي يصل إلى
قلوب الآخرين لابد أن يكون الإنسان نقياً .. يحمل قلباً
صافياً .

وبعد هذه الرحلة مع شخصيات الراوية التي
يقرر بعضها حقيقة وجود عطيات والبعض الآخر ينكر
وجودها وأنه لم يرها أبداً ، تفاجأ في آخر الرواية
باعتراف خطير من الحاج رجب السبكي والد عطيات
ومن حسن أيضاً « ساقول الحقيقة .. لم يعد هناك
جفوى من التماذي في هذه اللعبة السخيفة .. الحقيقة
يا سيادة وكيل النيابة أنني لم تكن لي أبداً ابنة تدعى
عطيات .. البلاغ كاذب .. وحسن هو الذي فعل ذلك
لكي يشهر بسمعتي لأنني لم أكن أعطيه الأجر المقول
كما سبق أن قال لكم ، ولقد شجعت خالته على أن يقلل
ذلك لأنها ، أقصد لأنني كنت أسوء معاملتها .. لأنها

كانت تتلف لأن تكون لها ابنة ولو تموت في حادثة كما
يدعون . والآن أعتقد أنني بهذا الاعتراف أرسيت
ضميرى وأزحت العبء الثقيل عن صدري » .

ويؤيد المهندس حسن الحاج رجب في اعترافه
فيرتمى وكيل النيابة على المقعد وأشعل سيجارة وامتنص
نفساً عميقاً ويتطلع إلى الحاج رجب والحاجة تغيدة
زوجته وحسن » تكس رأسه وانغمض عينيه .. رأى
عيניהما يحملقان إليه .. متوهجتان بارزتان من بين
ردوس الأشواك المتنافرة ، تلتفمان وتدوران تتسعان ،
خرجت من الفجوة ومسحت قمها بيديها ، ظهرت أنيابها
الطويلة المدببة .. دارت حول الفجوة .. اختربت وهي
تتشمم الأرض ، حرك قدمه ، جرت وسقطت بداخل
الفجوة . هروا ناحيتها ، دار حول الفجوة ونظر وجلس
ومد يده ، وتحسس الجدران ، أحس بشيء يتعد ،
انبطح على الأرض وأدخل ذراعه وأطال برأسه ..
أحس بشيء يتعد » زحف بصدره إلى الامام ونظر ..
وظلت ذراعه تتأرجح في فراغ الفجوة » .

ونحن نختلف مع الكاتب في هذه النهاية الغامضة
لوكيل النيابة ولا ندري لماذا أثار أن يوقعه في نفس
الحيرة التي عانتها الشخصيات .. فالكاتب يقرر أن
الحقيقة لا يمكن الوصول إليها لأنها نسبية ، وتختلف

حولها الآراء باختلاف الناس طبقا لمستواهم الفكرى والاجتماعى والحالة النفسية أيضا .. ولذلك يجب على الانسان ان يتقبل الواقع كما هو أو يتقبله عندما يصل الى الحد الذى يميز عنده فى الوصول الى الحقيقة .. وعندئذ عليه ان يعيش فى الوهم حتى يصل يوما الى الحقيقة وهذا لن يحدث طبقا للنهائية التى وضعها الكاتب لوكيل النيابة .

أين البحث عن الحقيقة ومحاولات الوصول اليها استحوذ على اهتمام الكثير من الكتاب ، ففي اليابان مثلا تناول هذه القضية الكاتب اليابانى تسو فى إحدى مسرحياته حيث يقرر ان الحقيقة نسبية لأن كل انسان يراها من وجهة نظره هو وحسب دوافعه النفسية ، ففي هذه المسرحية يخرج زوج وزوجته للتنزه فى الغابة فيقابلهما قاطع طريق ويدعى « تاكوان » ويعجب بالزوجة الجميلة ، فيربط الزوج فى شجرة ويقتله ، ويعتدى على الزوجة ، وفى التحقيق يقرر قاطع الطريق انه القاتل وتقرر الزوجة بأنها هى القاتلة وتحضر روح الفتيل وتقرر انه انتحر .. وتدور أحداث المسرحية للبحث عن الحقيقة مثلما فعل كاتبنا نبيل عبد الحميد الذى يهتم دائما بقضايا الانسان وعلاقاته بالكون المحيط به .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	اهداء
٥	الاجابية في شخصيات محمود البدوى
٢١	عالم سعد حامد القصص
٤٩	اللسان المر
٥٧	قراءة في مجموعة الجثة
٦٥	قراءة في قصص اديب شاب « سعيد سالم »
٨٣	عندما يصبح الريف بطلا لمجموعة قصصية
٩٧	ثلاث دراسات عن السباعى
١٠٩	ارض التفاق والارادة الانسانية
١٢١	صور ابن البلد في ادب يوسف السباعى
١٢٥	الاعراء الاخير
١٢٢	العودة الى الحب والامل في النصر
١٤١	مسافة بين الوجه والقناع

نظرات نقدية في القصة

القصة والرواية

يتناول الكاتب مجموعة من الأعمال الأدبية
لنخبة من رواد القصة القصيرة والرواية ..
من أبرزهم القاص محمود البديوي ، سعيد
حامد ، عبد الوهاب الأسواني ، وعلى رأس
هذه الباقية الأديب الراحل يوسف السباعي ،
كما يعرض لمجموعة من أعمال كتّاب وأدباء
الأقاليم .

والكاتب يفحص بقلمه في أعماق
الشخصيات والأحداث ليستخرج السمات
الفنية والفكرية لكل منهم ، كما يبرز الجوانب
الأصيلة لكل كاتب وأديب .
الكتاب القادم :

الرد على الحاد سارتر .

فؤاد كامل .

رقم الايداع ٨٥/٤٧٠٧
التزقيم الدولي ٠٦٧٨ - ٠٦ - ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب